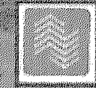
الرحلة فى الإسلام

أنواعها وآدابها

دكتور عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى





مكتبة الدار العربية للكتاب



الرحلة فى الإسلام

أنواعها وآدابها

الناشـــر : **مكتبة الـدار العربية للكتاب**
شارع الطيران ـ الحي السابع ـ مدينة نصر
تليفون : ٢٦٣٩٨٥١ ـ فاكس : ٣٩٠٩٦١٨
ص .ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ١١٠٣٢ / ٩٥
الترقيم الدولى: I.S.B.N 4 - 70 - 5366 - 977
جمع : **أو ـ تك**
العنوان: ٤ ش بني كعب ـ متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
طبع: **آمون**
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م
تصميم الغلاف: **محمد قطب**

الرحلة فى الإسلام

أنواعها وآدابها

دكتور عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

الناشر
مكتبة الدار العربية للكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــداء...

إلى كل أخ مسلم يزمع سفرا،
حتى يتحول عمله من مجرد عادة،
ويحصل به على ثواب عبادة،
وبالله التوفيق،

المؤلف



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذى خلق الإنسان بقدرته، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعًا منه، وأمره بالسعى فى مناكب الأرض، فقال وقوله الحق:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(١)، ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم سيدنا محمد عبد الله ورسوله الأمين، الذى كانت حركته فى الحياة فتحا ونصراً مبينا. وخيرا وبركة على عباد الله، فلما شق عليه عَنَتُ أهل مكة خرج إلى الطائف يلتمس أرضًا خصبة تنبت بها عقيدة التوحيد، ويوم أن شددوا عليه وعلى المؤمنين بالله الحصار، وضيقوا عليهم الخِنَاق، جعل الله لهم مخرجًا ويسر لهم أمر الهجرة من مكة إلى المدينة، كما تعددت رحلاته للجهاد فى سبيل الله، وشاء الله له أن يتوج حياته برحلة عبادية طيبة، فكانت حجة الوداع التى أنزل الله عليه فيها قوله الكريم:

(١) سورة الملك: ١٥.

﴿ ... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1] ورضى الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان وأمان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الإنسان فى حياته الدنيا بحاجة ماسة إلى الرحلة والانتقال، لتحصيل خيرى الدنيا والآخرة، يتحرك وينتقل من مكان إلى مكان سعيا وراء الرزق، أو أداء لواجب العبادة لله، من نحو تحصيل علم نافع، أو أداء فريضة الحج أو العمرة، أو ليزور أخا فى الله بغرض الاطمئنان عليه، أو المشى فى قضاء حاجة له، أو عيادة مريض اشتدت به علته، أو ليقف على آثار صنعة الله فى خلقه، أو غير هذا - وهو كثير - من أغراض الرحلة والانتقال.

وفضلا عما فى ذلك كله من توثيق عُرَى المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامى فإن فيها الأنس بطاعة الله، وفيها النُّعْمَى بحسن ضيافته، فيها رفع الدرجات، وتكفير الذنوب والسيئات، وقد وردت بذلك النصوص الوضيئة والمضيئة، والتى نجتزئ منها بما يلى:

- **كثرة الْخُطَا إلى المساجد تكفر الذنوب:**

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا:

---

(١) سورة المائدة: ٣.

بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الْخُطَا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرباط»[1].

● الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب:

* عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[2].

* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الحجاج والعُمَّار وفد الله، إن دَعَوْهُ أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**»[3].

* عن بُرَيْدَةَ الأسلمى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله، الدرهم بسبعمائة ضعف**»[4].

● السعى على العيال يكفر الذنوب:

* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى.

(٢) رواه الترمذى وابن خزيمة وابن حبان.

(٣) رواه النسائى وابن ماجه وابن حبان.

(٤) رواه ابن أبى شيبة وأحمد والطبرانى والبيهقى.

«إن من الذنوب ذنوبًا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج، ويكفرها الهمّ فى طلب المعيشة»[1].

• السعى فى قضاء حوائج الناس يكفر الذنوب:

* عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مشى إلى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة إلى أن يرجع من حيث فارقه، فإن قُضيت حاجته خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب»**[2].

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: **«من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين (المشرق والمغرب)»**[3].

ولكل هذا وغيره نستطيع إدراك الحكمة من وراء استحباب السعى فى الأرض والضرب فيها، ابتغاء فضل الله ـ تعالى.

ولما كان كثير من الناس لا يعرف هذا الموضوع إلا بصورة عامة، فقد أردت أن أضع بين يدى القارئ المسلم صورة لهدى الإسلام فى هذا الشأن، بينت فيه معنى الرحلة فى الإسلام، كما عنيت أيضا بآداب الرحلة فى الإسلام، فقد رتبتها وبوبتها بصورة يسهل معها تذكرها، ولا يشق على النفس أو الذهن استحضارها، كما قدمت

---

(١) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلى.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

نماذج من أنواع الرحلات الشهيرة التى حوتها كتب التراث، لما فيها من عظيم النفع وجليل الفائدة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم

وأن يجعله فى ميزان الحسنات لى، ولوالدى، وللمؤمنين والمؤمنات.

الدكتور

عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

الأستاذ بجامعة الأزهر

ذو الحجة ١٤١٥ هـ

مايو ١٩٩٥ م





الرحلة فى الإسلام



الرحلة فى الإسلام

* معنى الرحلة:

الرحلة: من الارتحال، وهى تعنى الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهى السَّفَر، وجمعه: أسفار، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا... ﴾[1]، وقد ورد ذكر الرحلة فى القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾[2]، فلقد كان أهل مكة يألفون الرحلة والأسفار بغرض التجارة، وقد زادت رغبتهم فى التنقل والارتحال بعد انتشار الإسلام لأغراض شتى، بعضها دينى وبعضها اجتماعى، ونزولا على النصوص التى تندب إليها، ومن نافلة القول أن نذكِّرَ بأن الإنسان فى رحلة دائمة فى هذه الحياة الدنيا منذ أن كان جنينا إلى أن يقضى نحبه، فهو فى كدح دائم وكفاح مستمر، وكل مرحلة تسلمه إلى التى تليها، والأعجب من كل هذا أن الإنسان يفرح بمرور تلك المراحل مرحلة تلو الأخرى تحقيقا لأحلامه

(١) سورة سبأ: ١٩.
(٢) سورة قريش: ١، ٢.

وطموحاته، فالطفل يفرح إذا صار شابا، وكذلك الشاب إذا صار رجلا . . . وهكذا، وما درى الإنسان أن كل هذه المراحل طَى لعمره ونقص فى أجله، ويصدق على ذلك قول القائل:

والمرء يفـرح بالأيـام يقطعهـا ∴ وكل يوم مضى يُدْنى من الأجل

*** دعوة الإسلام إلى الرحلة:**

لما كانت الأرض بالنسبة لبنى البشر بمثابة المهد والبيت واللحد، بل والمنشر والمحشر، حيث يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1]. ويقول: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... ﴾[2]، ويقـول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾[3]، ويقول: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ .. ﴾[4]، ويقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[5]، لما كانت الأرض بالنسبة لبنى البشر بهذه المثابة فقد تكررت دعوة الله لعباده بالمشى فى مناكب الأرض؛ ليروا عجيب صنعه، وباهر قدرته من الآيات البينات، وما أودعه فيها من معادن ونبات وحيوان وأجواء، هذا فضلا عن النظر إلى آثار الأمم الماضية لكى يستطيعوا الوقوف من خلال ذلك على القوانين التى يجريها الله فى هذا الكون من نحو إهلاك الظالمين، وتمكين

---

(١) سورة طه: ٥٥.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٠.

(٥) سورة يونس: ١٤.

الصالحين واستخلافهم، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(١).

ذلك لأن الحياة فى رحاب الصالحين تعنى الرحمة الحانية الباقية التى تجعل دنيا الناس بردا وسلامًا، فضلا عن أنها تحمل فى طياتها الاستمرار والاستقرار، وهذا بعكس الحال إذا ما ولّى الطالحون، الذين يصدرون عن مناهج هدامة تحيل الحياة جحيمًا لا يطاق، الأمر الذى يقصر آجال الأفراد فضلا عن تقصيره آجال الحضارات وإن طالت، فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة.

ونسوق لك ـ أخى القارئ ـ باقة من الآيات القرآنية تتضح لك من خلالها معالم تلك الدعوة فيما يلى:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٢).

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣).

﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة النور: ٥٥.
(٢) سورة آل عمران: ١٣٧.
(٣) سورة الأنعام: ١١.
(٤) سورة النحل: ٣٦.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[1].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ... ﴾[2].

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾[3]

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[4].

*** الأهداف العليا للرحلة فى الإسلام:**

يهدف الإسلام من وراء دعوته هذه للرحلة والسير فى الأرض أن يتسلح المرء بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للأشياء، حتى يستطيع استخلاص الدروس الحقيقية المتجردة، والعبر الواقعية، ذلك لأن أوامر القرآن الكريم هادفة وهادية، فضلا عن كونها مبرأة من اللغو والعبث، وبصفة عامة فإن تلك الأهداف يمكننا بيانها على النحو التالى:

١ ـ التفكر فى خلق السموات والأرض:

ومجالات التفكر هنا جد متنوعة، فهى تشمل التفكير فى خلق هذه الأجرام، فى عظمتها، في إحكامها اتساعا واتِّزانًا وانتظاما، ولكى

---

(١) سورة النمل: ٦٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٠.

(٣) سورة الروم: ٤٢.

(٤) سورة الملك: ١٥.

يتحقق لنا هذا الغرض فعلى الإنسان أن يستحضر معاني النصوص الكريمة التالية:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3].

﴿... قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الرعد: ٤.
(٢) سورة غافر: ٥٧.
(٣) سورة آل عمران: ١٩٠، ١٩١.
(٤) سورة يونس: ١٠١.
(٥) سورة الأعراف: ١٨٥.

﴿ ... أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]

٢ ـ تمكين الصالحين :

لما وفق الله الصالحين إلى المنهج الخيِّر الذى يسيرون عليه فقد كتب لهم التمكين فى الأرض والاستخلاف فيها، وعمارتها بكل نافع ومفيد، لقاء منهجهم الخير، ونحن نستطيع التعرف على ملامح هذا المنهج ومعالمه، وما ينتج عن اتباعه من غايات حميدة من خلال طائفة من النصوص القرآنية الكريمة التى نجتزئ منها بما يلى :

● يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ

(١) سورة يوسف: ١٠٩ .

مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[1].

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ... ﴾[4].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[5].

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦.
(٢) سورة القصص: ٨٣.
(٣) سورة الزمر: ١٠.
(٤) سورة الأعراف: ١٣٧.
(٥) سورة الأنبياء: ١٠٥.
(٦) سورة القصص: ٥.

٣ ـ تحصيل الخير الدنيوى والثواب الأخروى:

لاشك فى أن الرحلة إذا استكملت مقوماتها المشروعة فإنها ستعود على الإنسان بالخير الوفير فى الدنيا، والثواب العظيم فى الآخرة، ففى الدنيا يكون السعى فى الأرض ابتغاء الفضل من الله، من نحو رزق أو علم أو صحبة خيِّرة، وفى الآخرة ثواب الله المقيم، ولقد كان لسلفنا الصالح أسفار ورحلات مشهورة طبقت شهرتها الآفاق، ومن أبلغ ما ورد فى الحض على الرحلة والحث عليها أبيات تنسب إلى الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ وفيها يقول:

سافر تجد عِوَضا عمن تفارقه ∴ وانْصَبْ فإن لذيد العيش فى النَّصَبِ
إنى رأيت وقوف الماء يُفْسِدُهُ ∴ إن ساح طاب وإن لم يَجْرِ لم يَطِبِ
الأُسْدُ لولا فراق الغاب ما افترست ∴ والسهم لولا فراق القوس لم يُصِبِ
التِّبْر كالتُّرْب مُلْقًى فى أماكنه ∴ والعود فى أرضه نوع من الحطبِ

ففى هذه الأبيات الرصينة يحرض الإمام على السفر والرحلة؛ ففيها من الخير ما فيها، فيها يتعرف الإنسان على الآخرين وربما يكونون خيرا ممن يعرفهم ويفارقهم، وفيها النَّصَب والكد الذى يجعل للحياة طعما مقبولا ومذاقا طيبا، ثم يسوق أمثلة من الواقع الملموس، والمشاهد المحسوس، تبين لنا أن الرحلة قَدَرُ ما فى الوجود من حيوان وجماد، وعن طريقها تتضح قيمة الأشياء ومعادنها، فحركة الماء وسريانه تعمل على طيبه واستساغته، بينما يعمل ركوده على رداءته، وسباع البهائم والطيور لولا سعيها وطلبها للرزق لم تجد

ما تقتات به، وكذلك السهم الذى فى كنانة الصائد لا يصيب إلا إذا انطلق وفارق قوسه، ومعدن الذهب هو شئ من التراب فى أماكن وجوده، وكذلك العود ـ وهو نوع من النباتات طيب الرائحة ـ لو نظرت إليه فى أرضه لوجدته شيئا من الحطب، ولكنه عندما ينقل ليعالج ويصنَّع يكتسب قيمة ومزية أعظم.

وقريب من ذلك قول الآخر:

والكحل كالترب ملقى فى أماكنه ∴ لما تَغَرَّبَ صار بين الجَفْن والحَدَقِ

أى أن أحجار الكحل لا تعدو أن تكون ترابا فى مناجمها، ولكنه إذا تَغَرَّبَ وانتقل إلى أماكن استخدامه فإن الناس تضعه بين جفونها وأحداقها، وكل ذلك وغيره يبين لنا أهمية الرحلة.

أنواع الرحلات

إن للرحلة أنواعا كثيرة، فهى تتعدد بتعدد أغراضها ومقاصدها، كما أن لكل نوع منها حكما شرعيا، إذ أنها تقع تحت أفعال المكلَّفين، ونحن نعلم من أصول الشريعة أن أفعال المكلَّفين تأخذ واحدا من خمسة أحكام، وهى: **الوجوب أو الفرضية، الندب، الإباحة، الكراهة أو الحرمة**، فكذلك لا يخلو حكم الرحلة من أحد هذه الأقسام الحكمية، وجِمَاع ذلك أنها إن كانت لقصد طاعة فإنها تقع بين الواجب والمندوب، وإن كانت لمعصية فإنها تقع بين الحرام والمكروه، وإلا فهى تندرج تحت المباحات.

وتقسم الرحلات إلى الأقسام التالية:

(أ) رحلات طلب النجاة:

ومن أشهر مقاصد هذا النوع من الرحلات ما يلى:

١ ـ الهجرة:

والهجرة الشرعية التى ينصرف إليها الذهن عند سماعها تعنى الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وقد كانت فرضا فى أيام النبى ﷺ وقد انقطعت بعد الفتح؛ لحديث «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**».

٢ ـ الخروج من أرض البدعة أو الأرض التى غلب عليها الحرام:

ذلك لأن طلب الحلال فرض من الفريضة على كل مسلم.

٣ ـ الفرار من الإذاية في البدن أو المال:

وذلك فضل من الله، أَرْخَصَ فيه لعباده، فإذا خشى المرء على نفسه فى موضع فقد أذن الله له فى الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور، وأول من حفظناه فيه الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما خاف من قومه قال ما حكاه القرآن الكريم:

﴿ ... وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[2].

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٦.

(٢) سورة الصافات: ٩٩.

ويقول الله عن موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، والأمثلة فى هذا الشأن كثيرة.

وكذلك الخروج خوف الإذاية فى المال؛ لأن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله وآكد.

(ب) رحلات لطلب الدين:

وهذا القسم يتعدد بتعدد أنواعه وهى:

١ ـ الرحلة فى طلب العلم:

وهذا باب مشهور من أبواب الشريعة.

٢ ـ الرحلة لأداء فريضة الحج:

وهى فرض بالنسبة لحجة العمر، أو سنة لما زاد عليها، أو واجب وفاءً بنذر.

٣ ـ الرحلة للجهاد أو الرباط فى سبيل الله:

٤ ـ الرحلة بغرض قصد البقاع الكريمة:

ولا يكون ذلك إلا فى نوعين: المساجد، والثغور للرباط فى سبيل الله، يقول رسول الله ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا»**.

٥ ـ زيارة الإخوان في الله.

---

(١) سورة القصص: ٢١.

٦ ـ السفر بقصد العبرة :

وقد مر بنا طائفة من الآيات القرآنية التى تحض عليه، وهى كثيرة فى كتاب الله، وحكمه الندب، ومن النماذج الشهيرة المجسدة له «ذو القرنين» فقد ورد أنه إنما طاف الأرض ليرى عجائبها، وقيل: لينفِّذَ الحق والعدل فيها.

(جـ) رحلات لطلب الدنيا :

١ ـ سفر المعاش :

وذلك إذا كان السفر بغرض تحصيل الضرورى من الأرزاق.

٢ ـ سفر التجارة والكسب الزائد عن القوت :

وهذا جائز فضلا من الله ونعمة، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾[1]، يعنى التجارة، وهذه نعمة من الله فى سفر الحج، فكيف إذا انفردت؟، أى : كانت مقصودة لذاتها، لا شك أنها تكون جائزة بفضل الله ـ تعالى.

(د) السفارة (التمثيل الدبلوماسى) :

إذا كانت المصالح الدولية قد تشابكت وتعددت فى العصر الحديث إلى الحد الذى رأينا فيه كل دولة بها وزارة للشئون الخارجية يتبعها جمع من السفراء الذين توفدهم إلى مختلف دول العالم، لكى يكونوا بمثابة همزات وصل فى نقل وجهات نظر دولهم إلى الدول الأخرى حول مختلف القضايا الحياتية (سياسية، اقتصادية،

---

(١) سورة البقرة: ١٩٨.

تعليمية. . . .) التى تحظى باهتمام مشترك بين تلك الأطراف، فإن نظام السفارة كان معروفا منذ القدم، ولكن الذى طرأ عليه فى العصر الحديث هو التنوع المذهل فى الكيف، وذلك لتفى بحاجات الدول فى عالم أصبحت فيه مختلف الأقطار أشبه بقرية كبيرة نظرا لتقدم وسائل الاتصالات الحديثة، وآخر صيحاتها البث المباشر عبر الأقمار الصناعية والمستقبلات العالمية، فالسفارة على هذا النحو تمثل لونا من ألوان الرحلة المعاشية، إذ عن طريقها يتم إبرام العقود والصفقات فضلا عن تذليل الصعاب وفض المنازعات.

- ومن الطريف فى هذا الصدد أن منصب السفارة على خطورته قد تقلدته بعض الحيوانات!! وإنى ـ أخى القارئ ـ لأستميحك عذرا لكى أروى لك أمر أغرب سفارة عرفها التاريخ، إنها سفارة الهدهد:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) ۩ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[1].

فكان من فضل الله على نبيه سليمان عِلْمُ لغة الطير، وكان يتفقده ويعرف أخباره وأخبار مملكته عن طريقه، ولقد حدث ذات يوم أن وجد سليمان طائر الهدهد غائبا أثناء تفقد الطير، على نحو ما هو معروف اليوم فى الجندية من تفقد القوات على فترات متعارف عليها، قد تكون فى الصباح وفى المساء، وقد تكون فى غير ذلك من الأوقات، ولما كان الهدهد لم يحصل على إذن مسبق أو تصريح بالغياب، فقد عد سليمان ـ عليه السلام ـ ذلك منه مخالفة تستحق العقاب، ولك أن تعجب من دقة التصوير القرآنى، فسليمان قد عرف غياب الهدهد بخلو مكانه، وهذا دليل الانضباط التام فى هذه المملكة، ولكن ربما يكون الهدهد قد أخطأ ووقف فى مكان آخر بحيث لا يراه القائد، وعليه فإن الأمر الطبيعى أن يسأل سليمان عن الهدهد، ولذلك فقد قال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[2]، فلما تأكَّدَ لديه غيابه توعده بشديد العقاب؛ حيث حصر هذه العقوبة فى العذاب الشديد أو فى إزهاق روحه ولكن بوسيلة مشروعة هى الذبح، وذلك يدلنا على بعد آخر فى تنفيذ

---

(١) سورة النمل: ٢٠ ـ ٣١.

(٢) سورة النمل: ٢٠.

العقوبات فى الشرائع السماوية، وعلى أى حال فإن انتظار سليمان للهدهد لم يدم طويلا، فلما سأله سليمان عن سبب غيابه أخبره بأن الأقدار قد طوحت به إلى منطقة نائية من الأرض، وهى منطقة سبأ باليمن حيث وجد بها قومًا أمرهم عجيب، فقد مَلَّكوا عليهم امرأة، وهى مع هذا فى غاية الثراء والأبهة ولها عرش عظيم، ولكنهم قد تنكبوا جادة الطريق، فهم يسجدون للشمس من دون الله، والهدهد ينعى عليهم هذا المسلك، فالله وحده هو الذى يستحق العبادة، كما قد قدم الهدهد لمقالته هذه بأنه قد أحاط بكل هذه التفاصيل، وأن ما يرويه له إنما هو رواية لنبأ وخبر يقين، وأنها ليست مجرد قصة ملفقة، أو حيلة مفتعلة يتقى بها وقوع العقاب.

ولما كان الأمر على هذا النحو غريبا بالنسبة لسليمان، فإنه لم يقف منه موقف المصدق أو المكذب، وإنما أراد مزيد إيضاح، لأنه لو تحقق ما قاله الهدهد فقد وجبت على سليمان دعوتهم إلى الإسلام الصحيح ولو كلفه ذلك جهادهم وقتالهم، ولهذا فقد كلف الهدهد بالقيام بأغرب نوع من السفارة عرفته البشرية حيث دفع إليه كتابا به رسالة إليهم، على نحو ما نعرفه فى إرسال الحمام الزاجل، وأمره أن يذهب إليهم وأن يلقى الرسالة ويقف على مقربة من مَلِكَتِهم ليأتيه بما انتهى إليه أمرها بعد مناقشة تلك الرسالة مع قومها، فلما فضَّت الرسالة وقرأتها ووصفتها بالكرم لصدق لهجتها، فضلا عن صراحتها، وتشاورت مع قومها وانتهى رأيها إلى إرسال هدية لسليمان، وإنما أرادت بهذا أن تستطلع هى الأخرى خبره وحقيقة دعواه، فإن قبل الهدية الجيدة فهو ملك من ملوك الدنيا يسهل

التفاهم معه، وإلا كان نبيا مرسلا، وعليها ألا تصطدم مع الحق فيصدمها، وبلَّغ الهدهدُ السفيرُ ما سمعه، وتلاحقت الأحداث ودخلت «بلقيس بنت شراحيل» ملكة سبأ في دين الله، وقالت ما حكاه القرآن عنها: ﴿ ... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وحينما جاء الإسلام فإنه لم يغفل السفارة، بل اهتم بها، ووضع لها الضوابط المهنية والأخلاقية ـ شأنه في كل مجالات الحياة ـ فقد سَمَا الإسلام بالسفارة، حيث نقلها من الأغراض المعاشية الدنيوية إلى درجات الأعمال الدينية الهادفة، وقد أخذت السفارة في الإسلام الصور التالية:

١ ـ التوسط في فض الخصومات وتصفية النزاعات:

وأشهر مثال نقدمه لبيان هذا الغرض هو «صلح الحديبية».

حيث توجه رسول الله ﷺ هو وأصحابه إلى مكة لأداء أول عمرة بعد الهجرة بمقتضى رؤيا رآها رسول الله ﷺ في منامه، ومصداقا لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[2].

---

(١) سورة النمل: ٤٤.

(٢) سورة الفتح: ٢٧.

وكانت نية الرسول وأصحابه واضحة وصريحة، أى أنها لم تكن مناورة تستهدف فتح مكة ودخولها، والدليل على ذلك أنهم ساقوا الهدى، ولم يحملوا إلا أسلحتهم الشخصية فقط، أى: التى يستطيع بها كل فرد أن يدافع عن نفسه عند الخطر، ولكن قريشا قد ارتابت فى هذا الأمر وتعاهدت مع حلفائها أن يحولوا بين المسلمين وبين تحقيق غرضهم من دخول مكة.

فلما ترامت تلك الأنباء إلى رسول الله قال معقبا على موقفهم:

«يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوْا بينى وبين سائر العرب! فإن هم أصابونى (أى: العرب) كان الذى أرادوا (أى قريش)، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين (أى: دخلت قريش الإسلام وعددها حينئذ كثير) وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»[1].

وأخذ رسول الله ﷺ يعمل بكل جهده على تجنب الحرب وتفادى لقاء قريش، ومن ذلك أنه طلب من أحد أصحابه أن يسلك بهم طريقا يجنبهم به خطر المواجهة، حتى وصلوا إلى مكان يقال له: «ثَنِيَّةُ المرار»، وفيه بَرَكَتْ ناقة رسول الله، فقال بعض الناس: خَلأَت الناقة (أى: حرنت) فقال النبى ﷺ: **«ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعونى قريش اليوم إلى خلة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»** ثم أمر الناس

(١) سيرة النبى ﷺ لابن هشام جـ٣ ص ٢٥ ط الحلبى.

بالنزول فنزلوا بواد ليس به ماء، فأخرج سهما من كنانته وأعطاه لرجل من أصحابه فغرزه فى أحد الآبار الجافة ففاض الماء منه حتى ارتوى الناس.

جاء جماعة من خزاعة على رأسهم رجل يقال له: «بديل بن ورقاء» سفراء من قِبَلِ قريش، يستوضحون من رسول الله عن الهدف من هذه الرحلة، فأخبرهم ـ وخبره صدق ـ بأنه لم يقصد حربا، وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته، فلما عاد هذا الوفد إلى قريش وأخبروهم الخبر اتهموهم وردوا عليهم ردا قبيحًا، ثم كررت قريش إرسال السفراء، فأرسلت «كُرْزَ بن حفص»، ومن بعده سَيِّدَ الأحابيش، ولكنهم اتهموا كلا من الرجلين بالجهل، حتى غضب سيد الأحابيش، وهدد بالانضمام إلى رسول الله ﷺ فاستمهلته قريش حتى يَرَوْا لأنفسهم رأيا يرونه، ثم أرسلت قريش «عروة بن مسعود الثقفى» فأخبرهم بما رأى وبما سمع.

أما عن السفارة فى جانب المسلمين، فقد بعث رسول الله ﷺ رجلا من خزاعة إلى قريش يخبرهم بصادق نيته فى أداء النسك، فما كان من قريش إلا أن تخطت حدودَ اللياقة فى معاملة الرسل أو السفراء فعقروا جمل هذا السفير وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه فاعتذر، وأشار على رسول الله بأن يبعث «عثمان بن عفان» فقبل عثمان، وخرج إلى مكة، فلقيه «أبان بن سعيد بن العاص» فأجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ فما كان من قريش إلا أن احتجزته عندها بمكة أياما حتى أُشيع أنه قتل، فدعا رسول الله إلى بيعة الرضوان لاستنقاذ عثمان، وانتهى

الأمر بصلح الحديبية المشهور، وقد تجلى لنا دور السفارة فى الوصول إلى نتائج مرضية.

٢ - تبليغ الدعوة إلى أقطار العالم:

ويمكننا أن نعتبر الرسل الذين بعثهم رسول الله ﷺ بالكتب إلى حكام العالم فى وقته سفراء أو مبعوثين مخصوصين، قاموا بتبليغ الدعوة الإسلامية إلى هؤلاء الملوك والحكام، لتتأكد بذلك عالمية الدعوة الإسلامية، ويتحقق قول الله - تعالى -: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3]. وكان إرسال الرسل بالكتب ابتداء من شهر المحرم من السنة السابعة من الهجرة على الأرجح، ثم تتابعت بعد ذلك، وقد أحصى ابن سعد فى طبقاته مائة كتاب وعشرة، وفى ذلك يقول أستاذنا الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى: [وحينما نمعن النظر فى هذه الكتب نجدها قد أُرسِلَت إلى مستويات مختلفة من البشر، من عرب وغير عرب، من ملوك وحكام،

(١) سورة سبأ: ٢٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٨.

ورؤساء أديان وقبائل، حتى بعض الخارجين على المجتمع الفارين منه لم تهملهم هذه الكتب، ولم تتغافل عن أوضاعهم وظروفهم، والدوافع التى حدت بهم إلى اعتزال مجتمعاتهم والخروج على تقاليدها.

ولئن كانت هذه الدوافع الظالمة هى التى أَلْجَأَتْ مثل هؤلاء إلى اتخاذ هذا الموقف فإن الإسلام جاء ليزيل كل أسباب الظلم السياسى والاجتماعى، وليقضى على كل مظاهر التفاضل بين الناس إلا تلك القائمة على التقوى والعمل الصالح. ومعنى هذا أن الإسلام قد فتح أمام هؤلاء «**العتقاء**» كما سماهم كتاب رسول الله ﷺ الأبواب ليستأنفوا حياتهم فى ظل عدالة يتساوى أمامها الجميع، ورحمة تشمل الصغير والكبير، ومبادئ تنصف المظلوم من الظالم، وتعطى لكل ذى حق حقه، وتفتح الطريق أمام كل ذى موهبة لكى يثبت مقدرته ويباشر دوره بدون خوف أو تَحَسُّبِ ظلم أو عدوان، وكانوا قد أحَسُّوا بهذا التيار الجديد الذى أخذ يجتاح حياة القبائل فى جزيرة العرب، فبعثوا وفدا منهم إلى رسول الله ﷺ يكتشفون إن كانت لهم فرصة يمارسون فيها حياة تُرْعَى فيها حقوق الإنسان وتحفظ عليه كرامته، فكتب إليهم رسول الله ﷺ الكتاب التالى: «**بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لعباد الله العتقاء، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة فعبدهم حر، ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها، وما كان فيهم من دم أصابوه، أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دَيْنٍ**

في الناس رُدَّ إليهم، ولا ظلم عليهم ولا عدوان، وإن لهم عن ذلك ذمة الله وذمة محمد. والسلام عليكم. وكتبه أبى بن كعب.

لا شك أن إرسال وفد منهم إلى رسول الله بعد أن رأوا ما يدعو إليه من عدالة وإنصاف يقوم دليلا كافيا على أن الاستعداد للخير مركوز فى طبيعة البشر، وأنه إذا توارى ذلك الاستعداد بسبب طارئ من ظلم أو اضطهاد فإنه لا يلبث أن يظهر حينما تتوارى الأسباب التى غطت عليه وقللت من فاعليته، وقد نأخذ من هذا الكتاب أن من أهداف الكتب التى بعث بها رسول الله إلى جانب إصلاح العقيدة هو إعادة القيمة الإنسانية إلى الإنسان][1].

والعتقاء الذين خاطبهم النبى بهذا الكتاب هم جماعة أشبه بالمطاريد أو الذين اعتزلوا المجتمع فى الأودية والشعاب نظرا لخروجهم على نظمه، إما لعدم رضاهم عنها أو لكونهم يرون فيها رأيا معينا لا يوافق ما تواضع عليه المجتمع، وهذا لا ينفى كونهم شريحة من المجتمع، ويجب أن تكون قوانينه وتشريعاته فيها من السعة ما يشملهم، ويعمل على إصلاحهم، وهذا ما أكده النبى ﷺ فى هذا الموقف وغيره.

٣ - التشاور فى القضايا الهامة:

وفى هذا المجال نجد السفارة قد أخذت فى النمو والازدهار تبعا لتشابك مصالح الدول وعلاقاتها ببعضها فى مختلف أغراض الحياة،

---

(١) انظر من وسائل الدعوة فى العهد المدنى، د. الجيوشى ص ٨٥ وما بعدها.

سلما وحربًا، كما كان للسفراء اللَّمَّاحِينَ الأذكياء دور بارز وهام فى توضيح وجهات النظر الخاصة بدولهم لدى الآخرين، والعمل الدائم على إزالة ما قد ينشأ بين دولة وأخرى من توتر فى العلاقات، ونود فى هذا الصدد أن نقدم نموذجا تتضح من خلاله اللماحية المفرطة، والحس المرهف للسفراء فى صدر الدولة الإسلامية على نحو ما يلى:

ذكر الشعبى قال:

أنفذنى عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألنى عن شئ إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسنى أياما كثيرة، حتى استحببت خروجى، فلما أردت الانصراف قال لى: من أهل بيت المملكة أنت؟.

قلت: لا، ولكنى رجل من العرب فى الجملة.

فقال: أنت أحق بموضع صاحبك منه.

فقلت: على بابه عشرة آلاف كلهم خير منى.

قال: هذا من عقلك، أريد أن أسألك عن ثلاث خلال فإن خرجت منهن فأنت أعلم الناس.

قلت: سَلْ.

قال: حتى تخرج وأُشَيِّعَكَ، وأسأل عنهن فتمضى وليس فى نفسى شئ منهن.

فلما شيعنى قلت: سل عن الثلاث خلال.

فقال: يا شعبى هل لكم مَثَل؟.

قلت: نعم، ليس فى الأرض مثل مثله.

قال: وما هو؟.

قلت: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء.

قال: حسبك؛ ما سمعت بهذا المثل قط.

قال: يا شعبى لم غيَّرت لحيتك بصفرة؟ ألا صبرت على البياض كما ابتليت به؟ أو رددتها إلى نسجها الأول فخضبت بالسواد؟

قلت: هذه سنة نبينا.

فقال: ما جاء به النبيون فليس فيه حيلة.

قال: أخبرنى: أنت خير أم أبوك؟

قلت: أبى خير منى.

قال: وأنت خير من ابنك؟

قلت: نعم.

قال: وابنك خير من ابن ابنك؟

قلت: نعم.

قال: الحمد لله الذى أظفرنى بك يا شعبى، آخركم يكون قردة وخنازير إن كنتم تزدادون فى كل قَرْنٍ شرا.

تم حمَّل الشعبىَّ رسالة إلى عبد الملك، وقال له: إذا رجعت إلى صاحبك فأبلغه جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، وادفع إليه هذه الرقعة، ولما رجع عرض على عبد الملك كل ما سمع وما دار، وأجاب عما سئل عنه، ثم هم بالانصراف، ولكنه تذكر الرسالة، فعاد ودفعها إلى عبد الملك قائلا: يا أمير المؤمنين إنه حمَّلنى إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت آخر ما حمَّلنى، ثم دفعها إليه.

فلما قرأها عبد الملك سأل الشعبىَّ قائلا: أقال لك شيئا قبل أن يدفعها إليك؟ فأعاد الحوار الذى دار بينهما، ثم سأله عبد الملك: أتدرى ما فى هذه الرقعة؟

قال: لا.

فدفعها إليه ليقرأها، فإذا فيها:

عجبت لقوم فيهم مثل هذا كيف ملَّكوا غيره؟!

قال الشعبى: والله لو علمت ما فيها ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك.

قال عبد الملك: أفتدرى لم كتبها؟

قال الشعبى: لا.

قال: حسدنى عليك فأراد أن يُغْرِيَنِى بقتلك.

قال الشعبى: لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرنى.

فلما بلغ ملك الروم ما قال عبد الملك قال: لله أبوه ما أردت إلا ذلك[1].

ومن هذا العرض يتبين لنا خطورة هذا المنصب، وما يتطلبه من استعدادات ذهنية وعقلية وثقافية ينبغى أن يتحلى بها الرسل، ويتصف بها السفراء، حيث ينبغى اتصافهم باللماحية الشديدة والذكاء المفرط، فهم يقررون مصائر شعوبهم، وكل هذا فى ظل الاعتماد على الله والاعتصام بالدين الحنيف يكون أمرا هينا «**فالمؤمن كيّسٌ فَطِنٌ**» يستمد عونه من الله، لا يركن إلى الدنيا ولايغتر بها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[2].

وما أُعْجِبَ ملك الروم بذكاء الشعبى إلا أنه كان راوية، فقيها، شاعرًا، يضرب به المثل فى الحفظ، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وهو من خيار التابعين.

(هـ) السياحة:

وهذا لون آخر من ألوان الرحلة، لا نقول إنه مستحدث، وإنما هو موضوع قديم اشتهر به أناس كثيرون، كانوا يعرفون بالرحَّالة، وكانت

(١) انظر (مروج الذهب للمسعودى) جـ٣ ص٦٠ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.
وكذلك (مروج الذهب) جـ٣ ص ١٤٠ شرح وتقديم الدكتور مفيد محمد قميحة.
و(نظام الحكم فى الإسلام) للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى ص ١٤٢ وما بعدها.
(٢) سورة الطلاق: ٢، ٣.

رحلاتهم تقوم على أساس الضرب فى الأرض للاتعاظ، وإنما الذى طرأ عليه فى الآونة الأخيرة هو اعتبار السياحة من الأمور الترفيهية التى أصبح الناس يقبلون عليها بشدة من مختلف الدول ومختلف الجنسيات، بل وقد أصبحت السياحة منظمة بدقة إلى الحد الذى ترى فيه كثيراً من الدول تهتم بها وتجعلها موردا أساسيا ورئيسيا من موارد ومصادر دخلها القومى، والسياحة على هذا النحو لا تعدو أن تكون لونا من ألوان التسلية والترفيه الثقافى، وتمضية الوقت هربا من جحيم الحياة وسُعَارِ المادة، عن طريق البذخ فى الإنفاق، والاختلاط غير المشروع فضلا عن ريبته، أضف إليه سفر المرأة بغير محرم وخلوتها بالأجانب.

ومكمن الخطر فى ذلك بالنسبة للأقطار الإسلامية التى لا تُلْزِمُ القادمين إليها باتباع السلوك الفاضل على نحو ما يقرره الإسلام، والأدهى والأَمَرُّ تبرير ذلك بكرم الضيافة، أى كرم هذا؟! وأية ضيافة تلك!! . . . إنها أمور تحمل فى طياتها ألوانا من التحلل والذوبان، حيث تسرى روح التحلل إلى شباب الأمة وتمزقه، فهذه ثلة من الشباب أصابتها رؤية هذه المناظر بألوان من اللامبالاة، وتلك ثلة أخرى دفعتها تلك السلبيات إلى ألوان من التشدد، فباتت ساخطة ناقمة، وكل ذلك يؤتى ثمارا مُرَّةَ الطعم غير مستساغة المذاق على المدى القريب والبعيد، حيث يتمزق شباب الأمة، وتتفتت وحدتها بين متحلل ومتشدد. . .

وحتى تكون السياحة إلى بلاد المسلمين مأمونة المخاطر فلابد من وضع الضوابط الخُلُقية لهذه الاتصالات، فضلا عن إفساح المجال للإرشاد الدينى فى المناطق التى يرتادها مثل هؤلاء القادمين؛ وذلك لوضع الأمور فى نصابها، فلا إفراط ولا تفريط، بمعنى إبراز المناخ والتاريخ الدينى للآثار موضع الدراسة والزيارة، وعدم الاقتصار على الإرشاد التاريخى البحت والمجرد، بدءا من الآثار الفرعونية، وانتهاء بالآثار الإسلامية، فَنُعَلِّم السائحَ مثلا عند زيارته للأهرامات أنها آثار حضارة عملاقة، تمكن أهلها من ناصية العلوم، فى الفلك والرياضيات والهندسة المعمارية وما إلى ذلك، ولكنها أَوْدَتْ بأهلها فى النهاية، فلم يبق منها إلا هذه الأطلال، نظرا لعدم اعتصامهم بالدين الصحيح، فقد سجل القرآن عليهم الظلم والإفساد فى البلاد، فتلك زبدة هذا الموضوع وثمرته، إذ لا فائدة من ذكر عدد أحجار هذا الأثر، وتقدير الفترة الزمنية التى تم تشييده فيها، وكم بلغت تكلفة إنشائه، وكم يتكلف تشييده اليوم؟ وما إلى ذلك من الأمور الاقتصادية والمعمارية والثقافية البحتة، فتلك أمور يأتى السائح وهو يعرف عنها الكثير، ولكن الذى يجهله عنها إنما هو تلك الحقيقة الدينية، وهكذا بالنسبة للآثار اليهودية والقبطية والإسلامية، فالإرشاد الدينى يلعب دورا بارزا فى هذا الصدد، إذ يعمل على إبراز فترات ضعف الحضارات أو قوتها، وكل ذلك يجعل السائح يرجع إلى بلاده وقد استفاد جديدًا، فربما قَلَّبَ الأمور على وجوهها فكان خيرا له وللناس.

ولا يظنَّن ظان أن فى هذا الأسلوب قدحا فى تلك الحضارات أو إنقاصا من قدرها، أو تقليلا من شأنها، فالواقع يدل على أن هذا المنهج ينصفها، فالإنصاف هو العدل، ومن العدل أن تقدم الحقائق غير مبتورة، وإلا فقدت قيمتها، فقد يسأل السائح نفسه: إذا كانت هذه الحضارات بهذه القوة فلماذا انهارت؟ لابد أن وراء ذلك سببا قويا، تتضح معالمه حينما تكمل زاوية الإرشاد الدينى.



آداب الرحلة فى الإسلام



آداب الرحلة فى الإسلام

هناك جملة من الآداب التى ينبغى على المرء أن يتقيد بها إذا أَزْمَعَ السفر أو الرحلة أيا كان نوعها، وأيا كان الغرض منها، حتى يستطيع أن يجنى من ورائها الخير والنفع الدنيوى والأخروى، ونود أن نورد هذه الآداب على النحو التالى:

(أ) الآداب العامة:

١ - ابتغاء مرضاة الله:

فعلى العبد إذا أَزْمَعَ سفرًا استحضار النية الصالحة، فإذا كانت الرحلة مشروعة كالحج والجهاد وزيارة الأقارب وعيادة المرضى فإن النية حينئذ تكون متوفرة، أما فى رحلات الكسب والعمل والسفارة والسياحة فينبغى استحضار النية، وأن يقصد العبد ابتغاء مرضاة الله فى كل حركاته وسكناته، فيما يأتى من الفعل وفيما يذر؛ لأن أعمال المكلف شرعا ينبغى أن تعود عليه بالخير والنفع، ولا خير أفضل، ولا نفع أعظم من ابتغاء مرضاة الله، فبالنية يتحول العمل العادى إلى عمل عبادى.

٢ ـ الإخلاص:

وهذا مطلب آخر لمريد الرحلة، فضلا عن كونه مطلوبا من كل أحد يشرع فى أى عمل، والنصوص فى هذا الباب كثيرة ووفيرة، قرآنا وسنة.

٣ ـ استمداد العون من الله:

فعلى طالب الرحلة أن يستمد العون من الله، ماديا كان ذلك العون أو معنويا، فالعون المعنوى والروحى يتمثل فى طلب التوفيق والصبر على تحمل المشاق، وسعة الصدر، وتشتد الحاجة لطلب استمداد العون الروحى من الله إذا كانت الرحلة رحلة سفارة، أو رحلة تبليغ للدعوة إلى الله، ومن الأمثلة الصريحة والواضحة الدلالة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ على لسان موسى ـ عليه السلام ـ حينما أرسله إلى فرعون: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[١].

وكذلك خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾[٢].

---

(١) سورة طه: ٢٥ ـ ٣٦.

(٢) سورة الصافات: ٩٩ ـ ١٠١.

وأما العون المادى فيكون بطلب الرفقة الصالحة، وخير مثال نقدمه لذلك هجرة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فقد كان رجلا ذا مال، وكان حين استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة، فقال له رسول الله: «**لاتعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا**» ولذلك انتظر أبو بكر وجهز راحلتين على أمل أن يحظى برفقة رسول الله ﷺ، وقد وجدناه يبكى من شدة الفرح حينما أخبره الرسول بأن الله قد أذن له فى الهجرة، فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسول الله. قال: «**الصحبة**».

وأيضا طلب الدعاء من الصالحين، فعلى ذلك جرى عرف المسلمين الأوائل، والأحاديث فى هذا الموضوع كثيرة ووفيرة، نذكر جانبا منها فيما يلى:

- كان عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادن منى حتى أودعَك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: «**أستَوْدِع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك**»[(١)].
- عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: استأذنت النبىَّ ﷺ فى العمرة، فأذن لى وقال: «**لا تنسنا يا أُخَيَّ من دعائك**» فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا.
- عن أنس قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: **يا رسول الله إنى أريد سفرًا فَزَوِّدنى، فقال: «زوَّدك الله التقوى» قال: زدنى، قال: «وغفر ذنبك»، قال: زدنى، قال: «ويسر لك الخير حيث كنت»**[(٢)].

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

- عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه؛ فإن الله جاعل فى دعائهم خيرًا**»[١].

- وعنه أن النبى ﷺ قال: «**من أراد أن يسافر فليقل لمن يَخْلُفُه: أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه**»[٢].

- عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان النبى ﷺ إذا ودع رجلاً أخذ بيده ويقول: «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**» أخرجه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم. وزاد الترمذى والحاكم فى رواية أنس: ويقول له النبى ﷺ: «**زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيث كنت**».

- عن جبير بن مطعم أن النبى ﷺ قال: «**أتحب يا جبير إذا خرجت سفرًا أن تكون من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زادًا؟ اقرأ هذه السور الخمس: قل يا أيها الكافرون، إذا جاء نصر الله والفتح، قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وافتتح كل سورة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) واختم بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)**»[٣].

- عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان النبى ﷺ إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كَبَّرَ ثلاثا، ثم قال: «**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لَمنقلَبون. اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم**

---

(١) رواه ابن السنى.

(٢) رواه ابن السنى.

(٣) رواه أبو يعلى.

هَوِّنْ علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعْدَهُ، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل» وإذا رجع قالها وزاد: «آيبون، تائبون، لربنا حامدون»[1].

- قال الأصمعى: سمعت أعرابيا يوصى آخر أراد سفرا فقال له:

«آثِرْ بعملك مَعَادَكَ، ولا تدع لشهوتك رشادك، وليكن عقلُك وزيرَك الذى يدعو إلى الهدى، ويجنبك من الردَى، واحبس هواك عن الفواحش، وأَطْلِقْهُ فى المكارم، فإنك تَبَرُّ بذلك سَلَفَك، وتُشَيِّدُ به شرفك».

- عن جرير بن عبد الله البجلى قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنى لا أَثْبُتُ على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال: «**اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا**»[2].

- عن أبى هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله إنى أريد سفرا فأوصنى، قال: «**عليك بتقوى الله تعالى، والتكبير على كل شرف» فلما ولّى الرجل قال: «اللهم اطوِ لَهُ البعيد، وهوِّن عليه السفر»**[3].

- **وصية أم لابنها الذى يريد السفر:**

وقف «أبان بن تَغْلِب» على أعرابية توصى ولدها المسافر، فقالت:

- أى بُنَىَّ، قف أَمْنَحْكَ وصيتى، وبالله توفيقك.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه ابن ماجه، والترمذى وقال: حديث حسن.

- أى بنى، إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والتَّعرُّض للعيوب فَتُتَّخَذَ غَرَضًا، وخليق ألا يثبُتَ الغرض على كثرة السهام، وقلما اعْتَوَرَت السهام غرضًا إلا كَلَمَتْهُ حتى يَهِىَ ما اشتد من قوته.

- وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريمًا يَلِنْ لهزتك، ولا تهزز لئيما؛ فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها.

- ومثِّلْ لنفسك مِثَالَ ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه.

فقال أبان: ثم أَمْسَكَتْ عن الكلام، فدنوت منها.

فقالت: أوَ أَعجبك كلام العرب يا حَضَرِى؟!

قال: نعم.

قالت: الغدر أقبح ما تَعَامَلَ به الناسُ بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحُلَّة رَيْطَتَهَا وسربالها.

(الريطة: الملاءة أو كل ثوب رقيق، والسربال: القميص أو الدرع)[1].

٤ - بيان موقفه المالى:

يجب على الإنسان أن يترك بيانا تفصيليا بِمَا لَهُ أو بما عليه من الحقوق (عينية كانت أو مادية) وأن يكون هذا البيان مصحوبا بمواعيد حلول تلك الحقوق أو الواجبات وأصحابها حتى يسهل أداؤها أو

(١) الخطابة فى موكب الدعوة صـ ١٢١.

المطالبة بها، وذلك هام جدا فى هذا الموطن، وقد كان الصحابة يستحبونه فى كل موطن حتى أثناء النوم، حيث تكون وصية الإنسان تحت رأسه، فربما يحين الأجل.

٥ ـ إقامة وصى على أهله ومصالحه من بعده:

ينبغى عليه أيضا أن يعين وصيا من أهل الخير والصلاح والأمانة لكى يرعى أهله ومصالحه التى يخلفها تبعا لما تقتضيه ظروف الرحلة وأحوال الأهل أو المصالح من بعده، فقد خَلَّف رسول الله ﷺ علىَّ ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بمكة يوم الهجرة لكى يقوم برد الودائع والأمانات التى أودعها أهل مكة لدى رسول الله ﷺ.

ومن قبله خَلَّف موسى ـ عليه السلام ـ أخاه هارون على بنى إسرائيل يوم أن ذهب لميقات ربه، وأوصاه بالخلافة والإصلاح على نحو ما سجله القرآن الكريم فى قوله الله ـ تعالى ـ:

﴿ ... وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1].

٦ ـ صلاة ركعتين قبل السفر:

- عن المطعم بن المقداد الصحابى أن رسول الله ﷺ قال: «**ما خلف أحد عند أهله أفْضَلَ من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا**»[2].

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٢) رواه الطبرانى فى كتاب المناسك.

ويستحب أن يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وفى الثانية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فإذا سلَّم قرأ آية الكرسى؛ للآثار الدالـة على فضلها فى السفـر، ويستحب قراءة: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ فهى أمان من كل سوء.

ويستحب إذا فرغ من هذه القراءة أن يدعو بإخلاص ورقة قلب، فيقول: «**اللهم بك أستعين، وعليك أتوكل، اللهم ذَلِّلْ لى صعوبة أمرى، وسهل علىَّ مشقة سفرى، وارزقني من الخير أكثر مما أطلب، واصرف عنى كل شر، رب اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، اللهم إنى أستحْفظك وأستودعك نفسى ودينى وأهلى وأقاربى، وكل ما أنعمت علَىَّ وعليهم به من آخرة ودنيا، فاحفظنا أجمعين من كل سوء يا كريم**».

٧ ـ اتخاذ مرشد إذا اقتضى الأمر ذلك:

ينبغى أن يتخذ لنفسه مرشدًا من أهل الخير والصلاح والأمانة، حتى يتحقق المقصود من الرحلة، وتقع على وجه مُرْضٍ وصحيح، فإذا كان يريد أداء النسك ولا خبرة له بمعرفة المناسك فيكون اتخاذ المرشد أمرا واجبا؛ لأن ما لا يصح الواجب إلا به فهو واجب، ولا تندهش ـ أخى القارئ ـ مما أقصه عليك، فقد رأيت بعينى رأسى فى إحدى مرات أداء العمرة بمكة المشرفة أن خرجت إلى نفق بجوار الحرم لكى أصل منه إلى مسكنى، فاستوقفنى أحد المعتمرين وسألنى قائلا: لقد قطعت هذا المكان سبع مرات ذهابا وإيابا، أفبهذا أكون قد

أتممت سعيي بين الصفا والمروة؟ فأجبتُه قائلا: يا أخي ليس هنا صفا ولا مروة، وأشرت له إلى مكان الصفا والمروة ليذهب إليه ويسعى، فلو أنه لم يسألني وتحلل زاعما أنه قد طاف وسعى فماذا يكون موقفه؟ لا شك أن عمرته غير صحيحة، ومن هنا وجب اتخاذ المرشد ليصح الواجب به، وكذلك الحال بالنسبة لبقية الأغراض الأخرى للرحلة، ومتى تحقق في المرشد شرط الصلاح والخبرة فعلى المسافر أن ينصاع إلى تعاليمه، وألا يقاطعه أويعترض عليه في تصرفاته، فكل ذلك لخير الرحلة وصالحها، وفي قصة موسى مع العبد الصالح خير شاهد على صدق ما نقول، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1].

٨ ـ النظر إلى الأشياء برويَّة وتعقُّل:

فعلى المسافر أن يتحلى بالرويَّة والتعقل والاتزان، فلا ينبهر بكل ما يراه من فكر أو معتقد، فضلا عن محاولة تقليده بصورة عفوية، وإلا فإنه يجر على نفسه أوخم العواقب، وقد سجل القرآن الكريم على بني إسرائيل صورة من هذا الانبهار المذموم، حيث طلبوا من موسى ـ عليه السلام ـ أمورا هي الشرك بعينه، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الكهف: ٧٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٨ ـ ١٤٠.

وهذه الناحية على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأن كثيرا من الناس تبهرهم ثقافات غيرهم بصرف النظر عن موافقتها أو مخالفتها لقواعد الدين وآدابه.

٩ ـ التحلى بمكارم الأخلاق خلال الرحلة:

فعلى المسافر والمرتحل أن يتحلى بالصفات الحميدة التى تجعل أنظار الناس تتجه إليه من حسن أفعاله، وتعرفه عنوانا للإسلام، ورمزا للمسلمين الذين يصدق عليهم قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[1].

ومن أجمع ما يتحلى به المرء من مكارم الأخلاق التواضع، بكل ما تعنيه تلك الكلمة من نحو غَضِّ الصوت والبصر، وخفض الجناح للرفقة والمخالطين، والاعتدال فى المشية، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[2].

ويقول ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[3].

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣، ٦٤.
(٢) سورة الإسراء: ٣٦ ـ ٣٨.
(٣) سورة لقمان: ١٨، ١٩.

وما ذلك إلا لأن التكبر من الأسباب التى تصرف صاحبها عن الهدى، وتحبط العمل، فلا تنفذ العبرة إلى قلبه، فيرى الحقائق معكوسة، والأوضاع السليمة مقلوبة منكوسة، فيتنكب سبيل الهدى والرشاد سالكا سبيل الهوى والضلال، وفى ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾[1].

١٠ - لا يخالط الرحلة معصية:

وهذا عنصر هام من العناصر التى يجب توافرها للمسافر أثناء رحلته، بدءا وانتهاء؛ لأن المعصية تعوق الحركة مهما كان أمرها، وقد قص القرآن الكريم علينا قصة نبى الله يونس - عليه السلام - يقول الله - تعالى -: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقد روى فى سبب خروجه: أنه بَرِمَ من قومه لطول دعوتهم، وشدة شكيمتهم، وتمادى إصرارهم، فهاجر عنهم قبل أن يؤمر، ظنا منه أن هذا التصرف يصح، حيث إنه لم يخرج - على أى حال - إلا

(١) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٧، ٨٨.

غضبًا لله، وبغضا للكفر وأهله، وكان الصواب أن يصبر ويصابر وينتظر الإذن له من الله بالهجرة أو بالبقاء، ومن أجل ذلك حدث له ما حدث.

ولقد سمى الله - تعالى - خروج يونس على هذا النحو إباقًا، تشبيها له بهروب العبد من سيده، قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾[1].

وتدل وقائع تلك الرحلة أن يونس لما ركب السفينة المشحونة بالركاب توقفت بهم، فقالوا: هـهُنا عبد آبق من سيده، فقد كان مما يعتقده البحارة: أن السفينة إذا نزلها عبد آبق فإنها لا تجرى فى الماء، ولما كانوا لا يعرفون هذا الآبق على وجه التحديد فقد لجأوا إلى إجراء القرعة، فخرجت على يونس، فقال: أنا آبق، ورمى بنفسه فى الماء فابتلعه الحوت وهو مليم، أى: آت بما يلام عليه، فألهمه الله ذلك الدعاء فى بطن الحوت: [لا إله إلا أنت سبحان إنى كنت من الظالمين] وذلك من لطف الله به وبأمثاله، وبكل مكروب من الناس، ولولا ذلك التسبيح الذى أُلْهِمَه يونس لَلَبثَ فى بطن الحوت إلى يوم القيامة، قال الله - تعالى -: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2].

(١) سورة الصافات: ١٣٩ - ١٤٢.

(٢) سورة الصافات: ١٤٣، ١٤٤.

أما نجاة يونس ـ عليه السلام ـ فتتمثل فى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾[1]، حيث حمل الله الحوت على أن يلفظه بساحل البحر، وهو مكان خال من النبت أو الشجر، وكان يونس حينئذ مهزولا ضعيفا، فأنبت الله عليه شجرة من اليقطين، وهو نوع من أنواع القرع يقال له: الدُّبَّاء، وتمتاز بأوراقها المخملية (القطيفية) التى كانت تقيه الذباب والحشرات، فكم لله من لطف خفى، يَدِقُّ خفاه عن فهم الذكى؟.

ومن أجل هذا فقد خاطب الله نبينا محمدا ﷺ طالبا منه التحلى بالصبر، مذكرا إياه بموقف يونس مع قومه، إذ عليه ألا يتعجل كما تعجل يونس، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2].

١١ ـ بذل الخير لمستحقه:

ومن أروع الأمثلة الدالة على ذلك ما تعرض له نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ حينما ورد ماء مدين من أرض الشام، فى رحلته التاريخية الشهيرة حينما فر من فرعون وقومه لما خافهم على نفسه، فنزل تحت شجرة قريبة من بئر، وأخذ يرقب جموع الرعاة وهم يسقون ماشيتهم، ولفت نظره منظر امرأتين تدفعان أغنامهما بعيدا عن ماشية القوم حتى لا تختلط بها، فسألهما عن أمرهما: «ما

(١) سورة الصافات: ١٤٥، ١٤٦.
(٢) سورة القلم: ٤٨ ـ ٥٠.

خطبكما؟»، فأجابتاه: «**لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير**» فلم يتردد لحظة فى مساعدتهما بعد أن تبين له حاجتهما الماسة للمساعدة، فهما لم تخرجا بدافع المزاحمة ولا الاختلاط المشبوه، وإنما خرجتا لضعف والدهما وكبره وحاجتهما للكسب عونا على الحياة، وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف وهذا الحوار فى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1].

وكذلك ما ورد من أخبار ذى القرنين وبناء السد على نحو ما سنورده بعدُ ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(ب) الآداب الخاصة:

١ ـ الاستعدادات المادية والأخذ بالأسباب:

فعلى المرتحل أن يستعد لرحلته استعدادا خاصا بما يناسبها، طبقا لظروفها، فلكل رحلة متطلبات خاصة، كتوفير النفقة اللازمة لها بناء على المدة التى تستغرقها، وعلى مستوى معيشة أهل المنطقة التى يقصدها، هذا فضلا عن تكاليف السفر ذهابا وإيابا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2].

---

(١) سورة القصص: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

وقد نزلت هذه الآية فى أناس من أهل اليمن كانوا إذا خرجوا إلى الحج خرجوا من غير زاد ويقولون: نحن متوكلون. فتكون النتيجة أن يعيشوا عالة على الناس، فَنُهُوا عن ذلك، وأُمِروا بأخذ الزاد ليتقوا به سؤال الناس، وحتى لا يثقلوا عليهم، ويقاس على ذلك كل رحلة.

ويدخل فى اتخاذ الزاد أيضا توفر الملابس الساترة الواقية سواء أكانت المنطقة التى يقصدها حارة أو باردة، وأن يأخذ بالأسباب كاستخراج تأشيرات السفر، وتدبير وسيلة المواصلات المناسبة لنوع الرحلة، فقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن نوح ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[1].

ودبر أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ راحلتين وعلفهما استعدادا لهجرته مع رسول الله ﷺ كما اكترى دليل الرحلة وقائدها «عبد الله ابن أريقط».

٢ ـ الاستعدادات الثقافية:

ويقتضى ذلك الإلمام بدراسة أغراض الرحلة، والأمور المعاونة التى تسهم بفعالية فى تحقيق تلك الأغراض، مثل معرفة أهم الأماكن التى يقصدها، والأشخاص الذين يمكن أن يلتقى بهم لتسهيل

---

(١) سورة هود: ٣٦، ٣٧.

مهمته، وكذلك وسيلة التفاهم اللغوية عند اختلاف اللغة، بمعنى أن يحدد هل يدرس لغتهم أو يستعين بترجمان؟ وكذلك الإلمام بعادات وتقاليد أهل البلدة التى يقصدها، وما إلى ذلك من تلك الأمور الهامة والتى ينبغى التنبه لها؛ لأنها جميعا تسهم فى إنجاح الرحلة، وتحقيق أغراضها.

٣ ـ الاستعدادات الطبية :

فعلى المسافر الذى له ظروف صحية خاصة أن يصطحب معه فى رحلته ما يراه مناسبا لحالته من نحو الأدوية الطبية، وتقارير الفحوصات، ونتائج التحاليل الطبية، فقد يحتاج لكل هذا أو بعضه أثناء سفره، وكون هذه الأشياء معه تجعله قادرا على مواجهة ما يطرأ له من المواقف بما يناسبه، وحتى لا يضطر إلى إعادة هذه الأشياء، فكون التقارير والفحوصات معه يجعل الطبيب الجديد يواجه الموقف بسرعة.

وحينما نقلب صفحات تاريخنا الوضئ والمضئ، نجد الأطباء والحكماء يقدمون للقادة والأمراء النصائح الطبية أثناء السفر، ومن هذه الوثائق القيمة «رسالة فى تدبير سفر الحج» وهى رسالة قدمها الطبيب «قسطا بن لوقا البعلبكى» (٢٠٥ ـ ٣٠٠هـ)، قدمها إلى أبى محمد الحسن بن مخلد بن الجراح، ولقد خدم هذا الأمير فى بلاط الخليفة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١م) ثم كان وزيرا للخليفة المعتمد مرتين: (٢٥٦ ـ ٢٧٩ ـ هـ / ٨٧٠ ـ ٨٩٢م)، وقد كان قسطا يرغب فى مرافقة الحسن بن مخلد عندما عزم على أداء فريضة الحج، ولكن ذلك لم يتم له، فكتب هذه الرسالة فى تدبير

سفر الحج، وبعث بها إلى الأمير، وقد تضمنت هذه الرسالة جميع ما يحتاجه المسافر من إرشادات ونصائح طبية وغذائية وعلاجية.

ويصف هذا الطبيب رسالته بأنها تحتوى أصلا على أمرين أساسيين:

الأمر الأول: التدبير الذى يحتاج إليه السفر بالجملة.

الأمر الثانى: ما يحتاج إليه من التدبير فى هذا السفر (الحج) خاصة.

والأشياء التى يحتاج إلى عملها من أمر تدبير الأبدان فى الأسفار بالجملة أربعة معَانٍ، وهى:

١ ـ العلم بالتدبير فى وقت الراحة والطعام والشراب والنوم والباه (الجماع).

٢ ـ العلم بأصناف الأعباء والأشياء التى تذهب بكل صنف منها.

٣ ـ العلم بالعلل التى تعرض من هبوب الرياح المختلفة، وعلاجها.

٤ ـ العلم بالتحرز من الهوام، وعلاج آفاتها إذا وقعت.

فهذه هى الأشياء التى نحتاج إلى علمها والعمل بها فى الأسفار كلها.

أما سفر الحج، فمع الحاجة فيه إلى هذه المعانى، فقد تخصه أربع

كذلك وهى:

١ ـ العلم باختلاف المياه، وأصل الفاسد منها.

٢ ـ الاحتيال عند عدم الماء أو قلته، وما يقطع العطش.

٣ ـ العلم بالتحرز من الأشياء التى يتولد منها العرق البدنى وهيجان البواسير.

٤ ـ التحرز من الحيات والعلاج من آفاتها[١].

وقد تضمنت هذه الرسالة أربعة عشر بابا، هى فى جملتها نصائح طبية غالية تتناسب مع هذا النوع من الرحلات الأرضية التى كانت غالبا ما تتم سيرا على الأقدام أو على ظهور الدواب.

ويقاس على ذلك تزويد المسافرين بالنصائح والإرشادات المناسبة لوسائل المواصلات الحديثة كالسفن والطائرات والقطارات والسيارات، وكل وسيلة من هذه الوسائل لها مخاطر صحية وأمنية خاصة بها؛ كدوار البحر فى الرحلات الملاحية، وانخفاض الضغط الجوى لركاب الطائرات، والغثيان لبعض مسافرى السيارات، هذا فضلا عن وجوب تزويد المسافر بإرشادات السلامة، عند حدوث الأخطار والطوارئ، ولا مانع من أن تكون معه حقيبة طبية صغيرة تحتوى على الإسعافات الأولية، وما إلى ذلك.

(١) مجلة العربى ـ العدد ٤٢٨ صـ ١٩٨.



رحلات مشهورة



رحلات مشهورة

ونريد أن نُطَوِّفَ بك ـ أخى القارئ ـ فى ألوان من الرحلات عبرَ التاريخ؛ لنرى من خلالها تنوعَ أغراضها، فضلا عن الدروس التى يمكن استفادتها منها، ذلك لأن رحلات الأنبياء والصالحين إنما هى فصول من تاريخ الدعوة إلى الله تمثل ألوانا من السياحة الدينية حيث تشتمل على كثير من العبر والعظات، واللفتات الكريمة التى توجه الإنسانَ دائما إلى مقاصد الخير ومراميه، وأنهم أصحاب رسالات فى أى مكان يقيمون فيه، وأن رحلاتهم هذه إنما تكون بإذن الله، واعتمادا عليه، فالله يقول لنوح ـ عليه السلام ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ويقول لنبيه لوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[2]

(١) سورة هود: ٤٠، ٤١.

(٢) سورة هود: ٨١.

وإذا تحرك أحدهم بغير إذن فإن الله ـ سبحانه ـ يعاقبه ليُعَلِّمَهُ ويُعَلِّمَ الناس فى شخصه، كما حدث لنبى الله يونس بن متى ـ عليه السلام ـ وما سبق لنا بيانه عند الحديث عن عدم مخالطة الرحلة لمعصية.

ولما كانت هذه الرحلات من الكثرة بمكان فقد أحببت أن أنتقى منها ثُلَّةً توضح لنا جانبا من أغراض الرحلة، وكيفية الاستعداد لها، والاستفادة منها، وذلك على النحو التالى:

أولا: رحلات النجاة:

(أ) رحلات النجاة من وقوع العذاب:

١ ـ رحلة نوح عليه السلام ـ.

(ب) رحلات الخوف من الظالمين:

١ ـ هجرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ رحلة موسى إلى أرض مدين.

ثانيا: الرحلة لطلب العلم:

١ ـ رحلة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ.

ثالثًا: الرحلات السياحية:

١ ـ رحلة ذى القرنين.

٢ ـ رحلة العزير.

رابعًا: الرحلات التكريمية:

١ ـ مجئ موسى لميقات ربه.

أولا : رحلات النجاة

(أ) رحلات النجاة من وقوع العذاب :

رحلة نوح ـ عليه السلام ـ :

بلغ نوح ـ عليه السلام ـ درجة اليأس من إيمان قومه بعد طول مقامه فيهم ودعوته إياهم على نحو ما أوردته آى القرآن الكريم، عندئذ أخبره الله أن العذاب نازل بهم لا محالة، ثم أمره بالاستعداد للرحلة والشروع فى وضع وإعداد وسيلة النجاة له وللمؤمنين بالله معه، وذلك على نحو ما أورده الله ـ تعالى ـ فى قوله الكريم:

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

فأخذ نوح يستعد لهذه الرحلة استعدادا لا عهدَ للدنيا به من قبل، حيث أعد الأخشاب وأخذ يقطعها ألواحا، ويُهَيِّئُ الدُّسُر (المسامير

(١) سورة هود: ٣٦ ـ ٤١ .

الحديدية) وكان كل ذلك بتقدير الله ووحيه، كل ذلك والقوم يمرون به ويسخرون منه، وهو يرد عليهم رَدَّ الحلماء، إلى أن فرغ من بناء السفينة، وانتظر الإشارة والأمارة والإذن بالركوب والإقلاع، وتمثل ذلك فى فوران التنور وانبجاس الماء منه، والمراد به أنه تنور الخبز (أى: الفرن).

فعندما رأى نوح ـ عليه السلام ـ تلك الإشارة حمل فى السفينة أهله الصالحين، ومن آمن معه من قومه، وكانوا كما أخبر الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، كما حمل من كل صِنْفٍ من أصناف الخلائق زوجين اثنين، وكانت محركات هذه السفينة محركات إلهية، فإذا أراد نوح حركتها أو سكونها قال: «بسم الله»، كما كانت تلك الرحلة محروسة بعين الله، مصداقا لقول الله الكريم: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[1]، فلما قُضِى أمر الظالمين، واستأصل الله شأفتهم، أَمَرَ هذه الظواهر الكونية، والانفجارات المائية بالتوقف، وأن يعود كل شئ إلى سابق عهده، وفى ذلك يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

وفى عرضنا لهذه الرحلة على هذا النحو ما يفى بالغرض، فضلا عن كونه متمشيا مع روح النصوص القرآنية، فلست أرى كبير فائدة

(١) سورة القمر: ١٣، ١٤.
(٢) سورة هود: ٤٤.

وراء الإغراق فى سرد كثير من التفاصيل المتعلقة بنحو أحداث بناء هذه السفينة، وأبعادها، وكيفية صعود الأحياء إليها، فضلا عن إعاشتها بها تلك المدة التى لا يعلم حقيقة مقدارها إلا الله، وما إلى ذلك من الأسئلة الكثيرة التى تُلِحُّ على الذهن، وتستهوى القُصَّاص، وذلك لتضارب الأقوال حولها من جهة، واعتمادها ـ فى الغالب الأَعَمّ ـ على مصادر أهل الكتاب التى شابها التحريف، وامتدت إليها يد التأليف، هذا فضلا عن أن الإغراق فى سرد هذه الوقائع يذهب بنا بعيدًا، بل وبعيدا جدا عن موطن العبرة فيها، ولكنى قد خرجت على هذه القاعدة التى جعلتها أساسًا للكتابة فى هذا الموضوع فى جزئية واحدة، ألا وهى عموم الطوفان أوخصوصه، فتلك قضية جوهرية فى هذا السياق.

• عموم الطوفان أو خصوصه:

لقد افترقت الآراء إلى قسمين: قسم يرى أصحابه أن الطوفان كان محليا وخاصا، وأما القسم الآخر فيرى أصحابه أن طوفان نوح كان عاما لجميع بقاع الأرض، ومستندهم فى هذا بعض النصوص البادية الضعف فضلاً عن الوضع، من نحو قولهم: إن الطوفان قد عمَّ جميع الأرض إلى حد أن رفع الله البيت الحرام حتى لا يغرق، وأن السفينة قد طافت بأهلها الأرض فى ستة أشهر، فلما انتهت إلى الحرم طافت به ثم ذهبت تسير فى الأرض حتى انتهت إلى الجودى حيث رَسَت عليه واستوت.

ونحن نرى أن طوفان نوح كان طوفانا محليا وخاصا، اعتمادا على خصوصية رسالة نوح ـ عليه السلام ـ، وعموم الطوفان يقتضى عموم رسالته، وهذا غير صحيح، فضلا عما يقتضيه من ظلم لأولئك الذين لم يُرْسَل لهم نوح، وما فيه من مخالفة للعهود التى قطعها الله على نفسه، وأوجبها من غير موجب، من نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(١)، فلم يبق إذًا إلا أن هذا الطوفان كان محليا وخاصا لأهل المنطقة التى أرسل إلى أهلها هذا النبى، وهى منطقة العراق وبلاد ما وراء النهر، وقد رست هذه السفينة على جبل الجودى فى نواحى ديار بكر من بلاد الجزيرة، وهو متصل بجبال أرمينيا، وفى القاموس المحيط: (والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح ـ عليه السلام ـ ويقال له فى التوراة: أراراط.

• دور الماء مع الأنبياء:

كم للماء من أياد بيضاء سابغات على أنبياء الله ورسله، فكان انْبِجَاسُه من تنور نوح إشارة إلى لحظة الصفر وحلول العذاب، فقد تفجرت به الأرض عيونا، وفتحت به أبواب السماء، فصار طوفانا لهلاك الظالمين، مصداقا لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) سورة القمر: ١١، ١٢.

وإذا كان الماء مَرْفَأً أمان يُهَدْهِدُ صندوقَ موسى وهو طفل رضيع، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(1)، فقد كان أيضا مقبرة الغزاة من الفراعنة مُدَّعى الألوهية زورا وبهتانا، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾(2).

وكان الماء أيضا مستودَع التوبة والإنابة لنبى الله يونس ـ عليه السلام ـ حينما التقمه الحوت.

وبالجملة فقصة الماء مع الإنسان قصة طويلة، تبدأ منذ كان نطفة سابحة فى الماء، ثم جنينا محفوظا فى قراره المكين من كل أذى فى قربة من الماء، تصله أسباب الحياة كلها من أمه محمولة فى الحبل السرى مع الماء، ثم وليدا يرشف أول غذاء له من ثدى أمه لبنا سائغا قوامه الماء، بل إن الماء مع الإنسان حتى فى آلامه وأحزانه، يسكبُه دموعًا تغسل أشجانه، فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة، ولكنه لا يتحمل العطش إلا يومًا واحدا أو أربعة أيام(3).

---

(1) سورة القصص: ٧.

(2) سورة الشعراء: ٦٣ ـ ٦٦.

(3) عالم المعرفة، المجلد الرابع ص ٨١، ١٩٨٢م.

ولم يَخْلُ الماء من آيات تدل على صدق رسول الله ﷺ فكانت البركة تحل فيه فيفور ويزيد حتي يروى الجيش الغفير، وكان أيضا وسيلة ردع لأصحاب النبوات الكاذبة، فيوم أن تفل مسيلمة الكذاب فى البئر طمعا فى زيادة مائه، غاض ماؤه وجف إهانة له وتكذيبا لدعواه.

(ب) رحلات الخوف من الظالمين

١ ـ هجرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ :

أسباب هجرته:

لقد عاش خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى منطقة «كوثا» بأرض بابل بالعراق، وهى البلاد التى نشأ فيها، والتى اشتهر أهلها بعبادة الأصنام، فدعاهم إلى الله، وسلك فى دعوته كل سبيل يوصل للهداية، فى صور رائعة تتجلى فيها المناشدة القوية المهذبة التى تعتمد على أساس متين من الأدب الرفيع، وحسن الخلق، والإيمان العميق، الذى يتحلى به صاحب المبدأ، فى عفة قول، وصدق حديث، وأدب جدال، فما كان منهم إلا أن جَفَوْه واعتبروا ذلك المنهج معاداة للأصنام ـ آلهة الآباء ـ كما أن أباه هدده بالرجم إذا استمر فى مواصلة هذا المنهج، كما أن قومه ألقوه فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلامًا. فلما أدركه التعب والجهد، وأيس من إيمان قومه عَزَمَ على الرحلة والتحول عن هذه النفوس القاحلة الماحلة، التى لا تعرف الهداية إلى قلوب أهلها سبيلا، ولم يكن قد آمن معه سوى زوجه «سارة» وابن أخيه «لوط».

مراحل هجرته:

لقد كانت هجرة الخليل ـ عليه السلام ـ وزوجه وابن أخيه لوط رحلة متعددة المراحل:

- فقد خرج من أرض بابل إلى مدينة «أور الكلدانيين» وهى مدينة كانت تقع قرب الشاطئ الغربى للفرات.
- ثم خرج من «أور الكلدانيين» إلى منطقة «حاران».
- ثم واصل الرحلة إلى فلسطين، حيث أقام فى مدينة «شكيم» وهى المعروفة الآن باسم «نابلس» ولكنه لم يُطل الْمقام بها.
- رحلته إلى مصر.
- العودة ثانية إلى فلسطين، وبها أقام حتى وفاته فى مدينة الخليل التى عرفت باسمه وفيها قبره.
- الرحلة إلى أرض أبى مالك «اليمن».

وقائع هذه الرحلة المثيرة:

إن مطالعة كتب قصص الأنبياء بخصوص هذه الرحلة توقع القارئ العادى فى حيرة من أمره؛ ذلك لتعدد الروايات وتضاربها، الأمر الذى حدا بى إلى تمحيص هذه الروايات ومحاولة التوفيق بينها فى ضوء النصوص الواردة والوقائع الثابتة تاريخيا، بما يتيح للقارئ الإلمام

بهذه الرحلة في يسر وسهولة، وذلك على النحو التالي:

١ ـ الهجرة إلى الشام:

لقد هاجر إبراهيم ومن معه من أرض الكلدانيين بالعراق إلى أرض الكنعانيين بالشام، وفي ذلك يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2] فالأرض المباركة التي قصدها إبراهيم هي أرض الشام، وبهذا قال أُبَيٌّ بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم: وهذا هو المشهور؛ فالأرض المباركة بهذا المعنى والتي قد وردت النصوص صريحة بشأنها هي فلسطين والتي يقول الله عنها: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3]، وترجع بركتها إلى أن أكثر الأنبياء منها، وأنها أرض المحشر والمنشر، وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والثمار، يطيب فيها العيش للغني وللفقير، وبها ينزل عيسى ـ عليه السلام ـ وبها يهلك الله المسيخ الدجال ببادية «اللّدّ».

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء: ٧١ ـ ٧٣.

(٣) سورة الإسراء: ١.

وقد روى العوفى عن ابن عباس أن الأرض المباركة هى «مكة» استنادا إلى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقد ذكر الإمام ابن كثير ـ نقلا عن أهل الكتاب ـ أن إبراهيم ضرب قبة شرقى بيت المقدس.

٢ ـ الرحلة إلى مصر:

نظرا لحدوث مجاعة وقحط وشدة وغلاء فى منطقة الشام فى الفترة التى وفد إليها إبراهيم فقد تحول هو ومن معه إلى مصر، وكان ذلك فى عهد ملوك الرعاة وهم «العماليق» ويسميهم الرومان «الهكسوس» ويبدو أن حالات القحط هذه كانت دورية فى هذه المنطقة؛ والدليل على ذلك تكرار هذه الواقعة فى عهد نبى الله يعقوب وابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ وأن أهل الشام كانوا فى مثل هذه الكوارث الطبيعية يلجأون إلى مصر، وكان ذلك أمرا طبيعيا.

وقد تعرض الخليل أثناء هذه الرحلة لكثير من المصاعب البدنية نتيجة لكثرة الأسفار، التى تنبئ عن الحركة وعدم الاستقرار، هذا فضلا عن المصاعب النفسية التى ألمت به نتيجة لإعراض الناس عن الدخول فى دين الله، ومن جهة أخرى لما تعرض له من مضايقات فى مصر، حيث تعرض أحد جبابرتها لزوجته سارة، ولكن الله

(١) سورة آل عمران: ٩٦.

أنجاها منه بقدرته، وفى ذلك يقول الإمام ابن كثير:

[ذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخًا لضحاك الملك المشهور بالظلم وكان عاملا لأخيه على مصر، ويقال: كان اسمه سنان بن علوان بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ. أما ابن هشام فقد ذكر فى التيجان أن الذى أرادها عمرو بن امرئ القيس بن مايلون بن سبأ، وكان واليا على مصر، نقله السهيلى، والله أعلم][1].

٣ ـ العودة إلى الشام:

عاد إبراهيم من مصر إلى الشام مرة ثانية وأقام بها بقية حياته فى مدينة الخليل، حيث توفى بها، وبها قبره، وأصبحت تعرف بهذا الاسم نسبة لخليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان معه أنعام وعبيد ومال جزيل، وصحبتهم هاجر القبطية ـ أم نبى الله إسماعيل، عليه السلام ـ.

أما لوط ـ عليه السلام ـ فقد نزح بماله الكثير بأمر الخليل له فى ذلك إلى أرض يقال لها «الغور»، وهى المعروفة «بغور زغر» ، فنزل بمدينة «سدوم» و«عامورة» فى دائرة الأردن، وهى مدينة قديمة بفلسطين، تقع على شاطئ البحر الميت، وهى المعروفة «بقرية لوط»، وهى أم تلك البلاد فى ذلك الزمان، وكان أهلها أشرارا فجارا كفارا.

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٣٩ مرجع سابق.

وإن كان الإمام ابن كثير قد صرح بأن الخليل رجع من بلاد مصر إلى أرض اليمن، وهى الأرض المقدسة التى كان فيها، فإن هذا الرأى رأى مرجوح، وأما الأستاذ عبد الوهاب النجار فيرى ما يؤيد الرأى الأول، وهو أن إبراهيم رجع إلى الشام، وكان يتردد بين شمال الجزيرة وجنوبها إلى أرض أبى مالك، وهى المعروفة باليمن، وفى هذا ما يزيل التناقض بين الرأى المشهور وبين ما ذهب إليه الإمام ابن كثير.

٢ ـ خروج موسى ـ عليه السلام ـ من مصر إلى أرض مدين

دوافع هذا الخروج:

حينما شب موسى ـ عليه السلام ـ عن الطوق بأرض مصر شب مكتمل القوة، موفور الفتوة، فوقف قوته وفتوته على نصرة المظلومين الذين كانوا فى جملتهم من بنى إسرائيل، حتى عرف ذلك عنه واشتهر به، ولم يكن ذلك بدافع التعصب، وإنما كان بدافع وضع الحق فى نصابه، وتشاء الأقدار أن يدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، أى: فى وقت القيلولة أو فيما بين المغرب والعشاء على خلاف فى ذلك، فوجد مشاجرة بين رجل قبطى من أهل مصر وأحد العبرانيين قوم موسى، حيث كان القبطى يريد أن يُسَخِّر العبرانى فى عمل له وهو يمتنع عليه، ولما كان موسى ـ عليه السلام ـ مشهورا بالنجدة ودفع الظلم فإن العبرانى لم يتردد فى الاستغاثة به، فتقدم موسى لفض هذا الشجار، ولكن يبدو أن تسلط القبطى

كان زائدا على الحد، فما كان من موسى ـ عليه السلام ـ إلا أن دفعه بيده فى وكزة كانت قوية أودت بحياته، فما كان منه إلا أن ندم على ما بدر منه حيث لم يكن مأمورا بقتل الكافرين، وعَدَّ هذا القتل الخطأ من عمل الشيطان؛ لأنه عدو مضل مبين لبنى آدم، وطلب من الله العفو والمغفرة، فغفر الله له، ثم أقسم بالله بحق إنعامه عليه وفضله ومغفرة ذنبه وبما أنعم عليه من نعمة القوة والفتوة ألا يكون عونا ونصيرا لمن تؤدى مساعدته ومعاونته إلى الإجرام، وهو فى ذات الوقت يطلب العصمة من الله وحده.

أُسْدِل الستار على هذا المشهد، ولكنه ترك فى نفس موسى هواجس الخوف من انكشاف أمره ومثوله للقصاص، وبينما هو يسير فى المدينة وبين جوانحه هذه المشاعر إذ وجد ذلك الإسرائيلى يقاتل قبطيا آخر، وما كان منه إلا أن استغاث بموسى ـ على عادته ـ، ويبدو أن هذا الإسرائيلى كان من النوع المشاكس، فوجد موسى نفسه بين أمرين أحلاهما مر، فهو بطبعه نصير المظلومين، ولابد أن يرد هذا الظلم وهذا العدوان، وهو فى نفس الوقت قد قطع على نفسه عهدا بينه وبين الله ألا يناصر من تؤدى مناصرته إلى الجهل كهذا المشاكس؛ حتى لا يستمرئ تلك التصرفات المشينة، فتقدم ليبطش بالقبطى، وفى نفس الوقت يتوجه باللوم للإسرائيلى قائلا: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، فطارت نفس الإسرائيلى شعاعا، وخشى أن يكون موسى إنما يتحرك نحوه وهو فى حالة غاضبة، وأيقن أنه لو أهوى

(١) سورة القصص: ١٨.

عليه بكفه لكان مصيره مصير قبطى الأمس، فصاح بموسى قائلا: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[1] فأزاح تصريح الإسرائيلى هذا الستار عن قاتل قتيل الأمس، كما ألصق بموسى تهمة الجبروت فى المدينة، وأنه لا يلجأ إلى فض النزاعات والخصومات بالطرق السلمية، وإنما يلجأ إلى العنف، **وهذا يدلك على طوية النفس اليهودية، التى لا تفرق بين عدو وصديق، التى قد يعميها الحقد فى أى لحظة فتتنكر لكل جميل، ومهما كان فاعله.**

ترتب على هذا التصريح الأهوج أن أخبر القبطى قومه، ورفع الأمر إلى الفرعون، فأرسل فى طلب موسى لكى يقتص منه، ولكن رسل الله دائما تحت رعايته، فقد قيض الله له رجلا مؤمنا من آل فرعون، كان يسكن ناحية فى أقصى المدينة، فكما يقولون: الأطراف سُكنى الأشراف، فأقبل إلى موسى من طريق مختصر ليسبق الجنود الذين يطلبونه، وأخبره بما دبره له القوم، ونصحه أن ينجو بنفسه ويفارق الديار المصرية حتى لا تمتد إليه أيدى أهلها بسوء، فقبل موسى هذه النصيحة الغالية شاكرا صاحبها، وحينما نريد أن نتعرف على ترتيب هذه الأحداث فإننا نستعرض هذه الآيات الكريمة التى

---

(١) سورة القصص: ١٩.

يقول الله فيها:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[1]

خروج موسى ووجهته:

لقد تلاحقت الأحداث بالنسبة لكليم الله موسى ـ عليه السلام ـ بحيث لم يعد معها هناك متسع لوضع الخطط وإعداد الترتيبات، وأصبحت الأمور تتسم بالسرعة والعفوية، فبعد هذه النصيحة المخلصة لم يعد أمام موسى خيار، ولم يصبح هناك بُدٌّ من الخروج، ولكن كيف؟ وإلى أين؟ فهو غير مستعد بَعْدُ للسفر، فضلا عن أنه لم يتزود بزاد مناسب للطريق، ولكنَّه خرج على أى حال، خرج خائفا يترقب، أى يتلفت ذات اليمين وذات الشمال، وفى ذات الوقت فهو

(١) سورة القصص: ١٤ ـ ٢٠.

لا يدرى إلى أين يتوجه؛ حيث إنه لم يخرج من مصر قبل هذه الرحلة، ولكنه فى خضم هذه المشاعر والأحاسيس والانفعالات، بل إن شئت فقل: أمام تلك المفارقات، لم يتعلق أمله لحظة بغير الله - شأنه شأن جميع المؤمنين - فتوجه إلى الله بقلبه محددا مطلوبه ومقصوده بما ورد فى قول الله - تعالى -: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1]، فهو يطلب النجاة أولا ويطلب هداية السبيل ثانيا، فهداه الله إلى أن يتجه إلى «مدين» وذلك كما يروى أبو إسحاق النيسابورى فى كتابه «قصص الأنبياء» حيث إن موسى لما تَحَيَّر ولم يدر أين يذهب جاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له: اتبعنى؛ فهداه الطريق إلى مدين.

وإنما اختار موسى فى قصده مدين ورغب النزول بها وهى بلاد واقعة فى شمال خليج العقبة والحجاز وجنوب فلسطين، وتنسب إلى مَدْين أو مِدْيَان بن إبراهيم - عليه السلام - لعلَّه راعى فى ذلك صلة القرابة بين مديان بن إبراهيم وإسحاق بن إبراهيم الذى يعتبر موسى من ذريته على حد ما ذكره الطبرى عن سعيد بن جُبير.

ومن خلال هذا الموقف العصيب موقف الهرب وخوف الطلب كان موسى بعين رعاية ربه التى لا تنام، ومشمولا بكنفه الذى لايضام، فأوصله ذلك الطريق إلى مطلوبه ومقصوده من الهداية والنجاة.

---

(١) سورة القصص: ٢١، ٢٢.

نزوله مدين:

استغرقت رحلة موسى ـ عليه السلام ـ من مصر إلى مدين ثمانى ليال، لقى خلالها من الشظف ما لقى، فلم يكن له طعام إلا ورق الشجر ـ على حد ما ذكره ابن جبير عن ابن عباس ـ وهناك نزل فى أصل شجرة بجوارها بئر، فرأى أمة من الناس يسقون دوابهم، كما وجد امرأتين تحبسان دوابهما عن الاختلاط بماشية القوم، فتقدم إليهما فى وقار أهل الكرم ونَخْوة أهل النجدة، وسألهما عن حالهما؛ ليعرف مدى حاجتهما إلى عون يقدمه لهما إن كان فى مقدوره، فأخبرتاه بأنهما تنتظران فراغ القوم، وتنأيان عن المزاحمة، فذلك أمر لا يليق بحالهما، وأنهما ما خرجتا إلا لضعف أبيهما وحاجتهما للكسب، فسقى لهما وأحسن إليهما، ثم رجع إلى ظل الشجرة يتضرع إلى ربه، ويسأله خيرا من فضله، فهو فقير إلى عون الله.

أما المرأتان فأخبرتا والدهما بما حدث بعد عودتهما، فأرسل إحداهما فى طلب هذا الفتى الشهم الشجاع، فلما جاءه موسى أخبره ذلك الشيخ بأنه قد نجا بفضل الله من القوم الظالمين، حيث لاسلطان لفرعون على تلك الديار، وليس هناك قوة من البوليس الدولى تطارده «الأنتربول»، والمشهور أن هذا الشيخ هو نبى الله شعيب ـ عليه السلام ـ وممن نص على ذلك الحسن البصرى ومالك ابن أنس، وإن كانت هناك أقوال يرى أصحابها غير ذلك.

ولما كان أمثال ذلك الفتى العِبْرَانِىّ من الندرة بمكان فى دنيا الناس، فقد طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجره؛ لما يتحلى به من القوة والأمانة التى تجلت مظاهرها فى حمله الصخرة العظيمة التى لا يحملها إلا النفر الكثير عن فم البئر، ولأنه قال للفتاة التى ذهبت تستدعيه لمجلس أبيها، قال لها: اتبعينى ودلينى على الطريق

ولم يُدمْ النَّظَر إليها، فطلب منه الشيخ أن ينكحه إحدى ابنتيه، وقد أشار إليها، على أن يكون صداقها مقابل عمله معهم لمدة ثمانى سنوات، وأنه إن جعلها عشر سنين فذلك محض فضل منه، حتى تستديم تلك العشرة الصالحة، فَقَبِل موسى على أن يكون بالخيار، وفى ذلك يصور لنا القرآن وقائع هذا المشهد من تلك الرحلة التى كُلِّلت بأطيب الثمرات: نجاة من القوم الظالمين، وتوفير عمل فى رحاب أسرة كريمة، ومصاهرة طيبة قَلَّ أن يجود الزمان بمثلها لمطرود غريب، يقول الله ـ تعالى ـ:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[1].

---

(١) سورة القصص: ٢٣ ـ ٢٨.

ثانيا: الرحلة لطلب العلم

رحلة موسى مع الخضر - عليهما السلام -

سبب هذه الرحلة:

روى البخارى عن ابن عباس من حديث أُبَىّ بن كعب (وهو حديث طويل) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن موسى قام خطيبًا فى بنى إسرائيل، فَسُئلَ: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فَعَتَب الله عليه، إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لِىَ عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب كَيْفَ لِىَ به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله فى مكتل (وعاء من خوص يشبه الغلق)، فحيثُما فَقَدْتَ الحوت فهو ثَمَّ (أى تجد ذلك العبد عندما تفقد الحوت)**».

وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس من حديث أُبَىّ: «**أن موسى هو الذى سأل ربه قائلا: يا رب إِنْ كان فى عبادك أحدٌ أعلم مِنّى فَدُلَّنى عليه؟ فقال الله: نعم، فى عبادى من هو أعلم منك، ثم نَعَتَ له مكانَ الخَضِر، وأَذِن له فى لقائه**».

والمراد بمجمع البحرين هو بحر فارس والروم ممايلى الشرق، وقال أبَىٌّ بن كعب: هو أفريقية. ويبدو لى ـ والله أعلم ـ أن ذلك المكان هو المنطقة التى تقع فيما بين خليج العقبة وخليج السويس، أو أنه ملتقى أحد فروع النيل القديمة بالبحر الأبيض كما فى التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر(١).

بدء الرحلة:

قال ابن عباس يَسْتكْمِلُ الحديثَ السابق: «**فأخذ حوتًا فجعله فى مكتل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه «يوشع بن نون»، حتى إذا أتيا الصخرة وضعَا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت من المكتل فخرج منه فسقط فى البحر واتخذ سبيله فى البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثْلُ الطاق، فلما استيقظ نسى صاحبُه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه:** ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾(٢)، **ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به، فقال له فتاه:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾(٣)
فقال له موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(٤)»

وتصور لنا الآيات القرآنية من سورة الكهف هذه الصورة فى قول

(١) التفسير الوسيط، المجلد الثانى، ص ٨٩٧.
(٢) سورة الكهف: ٦٢.
(٣) سورة الكهف: ٦٣
(٤) سورة الكهف: ٦٤.

الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[1].

لقاء موسى للخضر:

قال ابن عباس يَستكمِلُ الحديثَ السابق: « **فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسَجى (مغطى) بثوب، فسلَّم موسى عليه، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلِّمنى مما علمت رشدًا، قال: يا موسى إنك لن تستطيع معى صبرًا، يا موسى إنى على علم من علم الله علَّمنيه اللهُ لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علَّمك الله لا أعلمه، فقال موسى:** ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾[2]، **فقال له الخضر:** ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[3]، **فانطلقا يمشيان على ساحل البحر**:

---

(١) سورة الكهف: ٦٠ ـ ٦٤.

(٢) سورة الكهف: ٦٩.

(٣) سورة الكهف: ٧٠.

وبهذا تم التعارف بينهما، واستأذن موسى فى الصحبة بغرض التعلم، وأعطى الخضر وعدا، وقطع على نفسه عهدًا بعدم إبداء أسئلة عما يحدث أمامه ومهما كان غريبا، وتصور لنا الآيات هذا المشهد فى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[1].

الوقائع المثيرة لتلك الرحلة:

- **إغراق السفينة:**

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[2].

ويمضى بنا ابن عباس فى حديثه مبينا لنا وقائع هذا اللقاء فيقول: **«فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن**

---

(١) سورة الكهف: ٦٥ ـ ٧٠.

(٢) سورة الكهف: ٧١ ـ ٧٣.

يحملوهما، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نَوْل (أى: أجر)، فلما ركبا فى السفينة لم يُفجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم. فخرقتها لتغرق أهلَها لقد جئت شيئا إمرًا».

ونحن نرى أن موسى بهذا الاعتراض الذى يتمثل فى اللوم الشديد للخضر حيث قابل إحسانَ أصحاب السفينة بهذا التصرف الذى يفضى إلى إهلاكهم، قد نسى العهد الذى قطعه على نفسه، ولذلك فإن الخضر حينما ذكره اعتذر له بأنه نسى هذا العهد، والنسيان مظنة العفو، وطلب إليه ألا يُحَمِّله فوق طاقته، فإنه نبى، والنبى لايسكت على أمر يراه خطيئة.

ففى الحديث: «**كانت الأولى من موسى نسيانا**»، وفيه أيضا: «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر من البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمى وعلمك فى علم الله إلا مثلُ ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**» وقبل الخَضِر عذره وسارا فى طريقهما.

- **قتل الغلام:**

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾[1].

(١) سورة الكهف: ٧٤ ـ ٧٦.

فى الحديث: «**فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله**».

وهنا عاجله موسى منكرا عليه هذا التصرف الذى أودى بحياة طفل برئ، وأن هذا التصرف من الخطورة بمكان، فكان أن نبهه الخضر مؤكدا بأنه لم يلتزم بما ألزم به نفسه، وفى الحديث: «**وهذه أشد من الأولى**»، فأدرك موسى خطأه ووعد بتحمل تبعة اعتراضه عليه مرة أخرى، وأن من حقه (أى: الخضر) أن يقطع هذه الصحبة إذا اعترض عليه موسى مرة أخرى.

- **إقامة الجدار:**

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1].

فسارا فى طريقهما حتى حلا بإحدى القرى، ويذكر المفسرون أنها «إنطاكية»، وطلبا من أهلها إعطاءهما طعاما يأكلانه، فرفض أهلها إطعامهما شُحا وبخلا، فرأيا فى هذه القرية جدارا يكاد يقع من شدة تداعيه للسقوط، فما كان من الخضر إلا أن هدمه ثم أعاد بناءه، كل هذا وموسى ينظر ويتعجب من تصرفه، وما يبذله من جهد

(١) سورة الكهف: ٧٧، ٧٨.

مضاعف، تمثل فى هدم الجدار ثم إعادة بنائه من جديد، يصنع هذا لقوم بخلاء يضنون بالطعام، وقال: لو أنك طلبت من هؤلاء القوم أجرا جزاء عملك هذا لكان أفضل، وهنا أعلن الخضر فراقه لموسى عليه السلام.

وإنما فارق الخضر موسى لما أدرك أنه قد استفاد من الدرسين السابقين، فهو فى هذه المرة لم يعترض ولم يصدر حكما وإنما اكتفى بتعليق منطقى، ثم شرع يبين له الحكمة مما صَنع، وأن كل ما فعله كان بدافع الرحمة لأصحاب السفينة، ولوالدى الغلام، وللغلامين اليتيمين، وهو ما توضحه الآيات الكريمة التالية:

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1].

ونحن نرى من خلال أحداث هذه الرحلة التعليمية المثيرة أهمية اتخاذ المرشد والمعلم، وأهمية الانصياع لأمره متى توفر فيه شرط الصلاح والخبرة، وأن المرشد يجب عليه أيضا أن يوضح للطالب ما قصر فهمه عن إدراكه، حتى يكون للرحلة ثمرة ونتيجة.

---

(١) سورة الكهف: ٧٩ ـ ٨٢.

ثالثا : الرحلات السياحية

١ ـ رحلة ذى القرنين

• التعريف بذى القرنين :

اختلف فى تحديد شخصية ذى القرنين، كما اختلف فى تحديد موطنه وصفته، فقيل: هو الإسكندر المقدونى من اليونان، وتتلمذ على «أرسطو» وكان زمنه قبل مبعث عيسى ـ عليه السلام ـ بنحو ثلاثمائة سنة، وإلى هذا الرأى ذهب الألوسى فى تفسيره. أما الشيخ طنطاوى جوهرى فيرى أنه أحد ملوك اليمن، واسمه: أبو كرب بن عمير بن امرئ القيس بن أفريقش، وقد استولى على المغرب، وسميت أفريقيا باسمه، واليمن تبدأ الألقاب بكلمة «ذو»، وهو الذى افتخر به «تُبّع» اليمانى» قائلا :

قد كان ذو القرنين جدى مسلمًا ملكا علا فى الأرض غير مقيَّد
بلغ المغارب والمشارق يبتغى أسباب ملك من حكيم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها فى عين ذى خُلَبٍ وتأطَةِ حَرْمَدِ

وقيل: هو فارسى.

وأيا ما كان الأمر فإنه ملك صالح مكَّنَ الله له فى مشارق الأرض ومغاربها، وورد ذكر قصته فى القرآن الكريم للإرشاد والتعليم، ردا على سؤال المشركين بإيعاز من اليهود لرسول الله ﷺ حيث إنها من الأخبار التى يعرفها أهل الكتاب، فذكر الله قصته فى القرآن حقًا وصدقا، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[1].

فقد مكن الله له فى الأرض وأعطاه الأسباب الخاصة، التى يتوصل بها إلى تحقيق ما يريد، كالعلم والحكمة، وتدبير أمر القادة والجند، وقد تصرف فى ملك الله من منطلق هذه الأسباب، فرحل إلى عدة جهات من الأرض فى سياحة دينية، يبتغى من ورائها وضع الحق فى نصابه، بالإحسان إلى المؤمنين، ومعاقبة الظالمين فى الدنيا، هذا فضلا عن بذل الخير لطلابه، ومساعدة المظلومين فَنِّيًا وتقَنِيا، ممثلا فى إقامة سد منيع بأسلوب لم تعهده الدنيا من قبل فى إقامة السدود، ليدفع به شر «يأجوج ومأجوج» عن جماعة المؤمنين فى تلك البقاع، وسنحاول سَرْدَ وقائع هذه الرحلة طبقا لما ورد فى القرآن الكريم والأخبار الصادقة عنها فيما يلى:

---

(١) سورة الكهف: ٨٣ ـ ٨٥.

- **رحلته إلى المغرب:**

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾[1].

اتخذ ذلك الملك الأسباب الصحيحة والقوية التى توصله منتهى الأرض من جهة المغرب ـ تبعا للوسائل المتاحة فى عصره ـ حتى وقف عند حافة المحيط، فهالَهُ غروب الشمس ومنظرها، وكأنها قرص مَحْمِى يسقط فى عين الماء، ووجد عندها قومًا مشركين، وقد أمره الله بدعوتهم إما بطريق الإلهام أو بواسطة نبى ذلك الزمان، كما خيَّرَه فى معاملتهم بعد الدعوة إما بعقاب العصاة أو مصابرتهم، فاختار عقاب الظالمين المصرين على الكفر، وإثابة المؤمنين بالله لقاء طاعتهم، وأنه لن يَشْتَطَّ عليهم، ولن يكلفهم إلا بما فى طاقتهم، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وكانت تحركاته هذه وخططه كلها قد أحاط الله بها.

- **الرحلة إلى المشرق:**

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ

---

(١) سورة الكهف: ٨٦ ـ ٨٨.

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾[1].

واصل ذو القرنين الرحلة إلى جهة الشرق، حيث الأقاليم التى تشرق عليها الشمس، فوجد قومًا ضاربين فى البداوة إلى الأذقان، هذا فضلا عن كونهم عراة لا يجدون ما يستر أجسادهم من حَرِّ الشمس ووهجها، وهذا كل ما طالعتنا به الآيات من أخبارهم.

• **الرحلة الثالثة:**

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[2].

كان ذو القرنين قد طبقَتْ شهرته الآفاق، وقد وصل فى رحلته هذه إلى منطقة تقع بين جبلين، فقابل قومًا لا يكادون يفقهون قولا

(١) سورة الكهف: ٨٩ ـ ٩١.
(٢) سورة الكهف: ٩٢ ـ ٩٨.

يقال لهم، وذلك راجع لاختلاف لغة كل منهم بطبيعة الحال، فهداه الله إلى أسباب التفاهم معهم كالإشارات ونحوها، وقد استطاع عن طريق هذه الوسائل أن يتعرف على مطالبهم، والتى تمثلت فى رغبتهم الملحة فى إقامة سد بين الجبلين ليكون بمثابة حاجز صناعى بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج الذين يتعرضون لمضايقاتهم وإفسادهم فى الأرض، كما عرضوا عليه فى مقابل ذلك أن يجعلوا له ضريبة تؤدى على الأفراد، وهى ماتدل عليها كلمة «خَرْج»، إذ الخرج على الرءوس، والخراج على الأرض، فما كان منه إلا أن استجاب لهم من منطلق بذل الخير لمستحقيه كما ذكرنا ذلك من قبل، ولكنه رفض أن يأخذ أجرًا على النجدة والإغاثة مكتفيا بما حباه الله به من فضل وتمكين، ولكنه طلب منهم أن يمدوه بعون من الأيدى العاملة وآلات البناء ومواد الوقود، كقطع الحديد والنحاس وغير ذلك مما يلزم لإقامة هذا السد الضخم غير المسبوق، ومن الملاحظات التى تدلنا على قوة ذى القرنين وطموحه، وأن قوته كانت قوة راشدة غير غاشمة، وأنه وجنده قد ملكوا ناصية التقنية، أن هؤلاء القوم حينما طلبوا من ذى القرنين طلبوا منه إقامة سد، ولكنه وعدهم بإقامة «ردم»، ومعلوم أن الردم أقوى وأمتن من السد، كما كان عنده علم ودراية بخواص المعادن وطرق تشكيلها عن طريق الصهر بغرض الاستفادة منها، الأمر الذى جعل بناء هذا السد مضرب الأمثال، فى عصر يخلو تمامًا من كليات الهندسة وتخصص إقامة السدود، وما يلزم ذلك من الرافعات العملاقة وغيرها من العقول الألكترونية التى تنظم الحسابات، وكل هذا يدلنا على مدى ثقافة ذى القرنين، وما

أيده الله به من المعارف، فقد عمد إلى كتل الحديد وَقَطَّعَهَا ثم وضعها فوق بعضها فى ترتيب معين يضمن ثباتها، كما وضع بداخلها قطع الفحم والوقود، وهكذا حتى اكتمل بناء الردم بحيث ساوى فى ارتفاعه قمة الجبلين، وحينئذ أمر عمال النفخ أن يشعلوا النار، وأن يُذْكُوا إشعالها بالمنافخ، ولا شك أن هذه الآلات كانت تتناسب مع حجم هذا العمل الهندسى العملاق، واستمرت عملية الإشعال حتى صار جسم السد نارا متأججة، فأمر بإحضار النحاس المذاب فصبَّهُ على قمة الردم ليعالج به الفجوات التى خلَّفها احتراق الوقود، ولكى يجعل جسم السد أملس عندما يبرد فلا يسهل تسلقه فضلا عن عدم استطاعته، ولقد بلغت متانة هذا الردم حِداًّ جعل محاولات يأجوج ومأجوج لتسلقه أو نقبه تَبوءُ بالفشل، مصداقا لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[1].

فلك أن تتخيل معى مدى ما بلغه ذلك الملك من العلم والحضارة والحكمة والقدرة!! إنها بلا شك حضارة عملاقة غير مسبوقة..

• **تواضعه:**

لما تم لذى القرنين هذا العمل المعمارى المهيب، على هذا النحو الرائع، لم يتملكه الزهو، ولم يستبد به الغرور، ولم ينسبه لنفسه، حتى لا يغتر به هؤلاء القوم فيفتنوا به ويقعوا فى عبادته، وإنما ذكرهم بالله، وبين لهم أن التوفيق فى إقامة هذا السد إنما هو رحمة من الله بعباده، كما ذكَّرهم بحقيقة الدنيا، وأنه لن يخلد فيها شئ

---

(١) سورة الكهف: ٩٧.

حيوانا كان أو جمادا، فهذا الردم ليس مقدرا له أن يستمر إلى قيام الساعة، وإنما سيمكث إلى أجله المقدر، فإذا جاء وعد الله بخروج هؤلاء المفسدين فإن هذا السد سيندك حتى يخرجوا منه.

التعريف بالسد الذى بناه:

وبعد هذه الجولة الضافية الوافية بصحبة هذا الملك الصالح، فإننى أعتقد أنه يلح الآن على ذهنك - أخى القارئ - جملة من الأسئلة التى تدور فى جملتها حول اسم هذا السد ومكانه، وبخاصة وأنه لاوجود له الآن فى دنيا الناس، وقد صدقت نبوءة ذلك الرجل حيث قد أتى على هذا السد وقت انتهى فيه أجله، وجعله الله دكا، فقد أدى الهدف من إنشائه إلى الأجل المقدر له، وإنى محاول معك أن أنقل باختصار ما يشفى الغليل فى هذا الصدد على النحو التالى:

اسم السد وموقعه:

يُدْعَى «سد باب الحديد»، ويقع فيما وراء جيحون من أعمال بلخ، بالقرب من مدينة تروز، ويقال إنه يقع فى آسيا الوسطى شمال الصين، ويقال: إنه سد «باب الأبواب» المشهور، وأن الجبلين هما جبلا أرمينيا وأذربيجان.

تخريب السد:

خرب هذا السد الطاغية «تيمور لانك» بجيشه، وقد خرج منه هؤلاء القوم فى غزوات تخريبية، ومن هذه الغزوات التخريبية ما حدث فى أوائل القرن السابع الهجرى بقيادة ملكهم «جنكيز خان»،

حيث أغاروا على بلاد المسلمين فأطاحوا بملكهم «قطب الدين السلجوقى» ملك التركستان والفرس، كما أخضعوا بلاد الهند، وقد هلك هذا الطاغية فى طريق عودته من الهند، فخلفه ابن أخيه «هولاكو» التترى، الذى أغار بجنوده على بغداد فى عهد الخليفة «المستعصم بالله» الذى ذبحه هؤلاء الأشرار ومثلوا بجثته فعلقوها فى ذيل حصان، واستباحوا المدينة تسعة أيام، سالت فيها الدماء أنهارًا، وألقوا كتب العلم فى نهر دجلة حتى تغير ماؤه من الحبر، وقد كشف الله هذه الغمة فى عهد الملك «سيف الدين قطز» بعد أن وصلوا فى غزواتهم المدمرة إلى الشام، فجرد لهم جيشا عظيما من مصر والشام، وحاربهم فى معركة فاصلة فى «عين جالوت» وهزمهم شر هزيمة، وأجلاهم عن ديار المسلمين بحيث لم تقم لهم بعدها قائمة.

وقد تنبأ النبى ﷺ ببداية خطر فتح هذا الردم، فقد روى البخارى بسنده عن زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من سد يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها، فقالت زينب: أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال: نعم إذا كثر الخبث**».

ومعنى هذا أن بداية شر هؤلاء القوم كانت صغيرة أيام رسول الله، ثم امتد هذا الشر فى أوائل القرن السابع الهجرى بعد اتساع هذا الخرق.

٢ ـ رحلة العزير:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

لقد وردت هذه القصة خالية من ذكر اسم المكان الذى مر به هذا الرجل، وعليه فقد وردت الأقاويل فى بيان اسم الرجل واسم القرية استنادا إلى ما عند أهل الكتاب، حيث قد وردت مثل هذه القصة عندهم، والمشهور أنه «عزير بن شرخيا» وأنه كان أحد أنبياء بنى إسرائيل، وقيل: كان عبداً صالحًا حكيما، وكان له ضيعة يتعاهدها، فخرج ذات يوم إلى ضيعته، فلما انصرف مَرَّ فى طريقه على قرية خاوية على عروشها، وقد مات أهلها، وكان مروره وقت الظهيرة، وقد أصابه الحر فنزل ليستريح فى ظل مبانى تلك القرية، وكان معه طعام يتكون من خبز وفاكهة، فبينما هو مستند لتناول طعامه فى لحظات استرخاء، إذا به وقد سرح خياله فى كيفية إحياء أهل هذه القرية، فأماته الله مائة عام ثم بعثه وسأله بواسطة الملك عن مدة لبثه ميتا؟ فأجابه قائلا: لبثت يومًا أو بعض يوم، فَصَوَّب الملك له هذه المدة، وأنها مدة طويلة تقدر بمائة عام، كما أمره بأن ينظر إلى طعامه

---
(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

وحماره ليرى أسرار قدرة الله ـ تعالى ـ فقد رأى الفاكهة والطعام على حالهما لم يتغيرا، بالرغم من أنهما سريعا العطب، أما الحمار فقد رآه رميما، وأصبح عظاما نخرةً، وهكذا أراه الله درسا عمليا لإحياء الموتى فى صورة إحياء حماره، وأن الله إنما فعل به ذلك ليكون آية لبنى إسرائيل، فلما تبينت له هذه العجائب والغرائب قال مشيدا بقدرة الله: **أعلم أن الله على كل شئ قدير.**

وهذه القصة نموذج لما يمكن أن يطرأ على النفس من خواطر وأفكار تلهث النفس وراء إجابة لها، أو بيان يشفى الغليل، فكثير من الناس يخطر ببالهم مثل هذه الخواطر فإذا تلمس الإنسان الرشد هداه الله إليه، وإذا تنكب جادة الطريق وكله الله إلى نفسه، والمعصوم من عصمه الله ـ تعالى.

ومما يقوى أن المقصود بهذا الرجل فى هذه القصة هو «عزير» ما ورد فى سورة التوبة: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... ﴾[1] فلما ظهر «بختنصر» على بنى إسرائيل بعد غزوه لهم أعدم جميع نسخ التوراة، ولم يوجد فيهم بعد حين من يحفظها، حتى ظهر عزير فأملاها عليهم حفظا ـ كما زعَموا ـ فتعجبوا من ذلك وقالوا: **ما ذلك إلا لأنه ابن الله، ومما يؤكد أن اليهود وقعوا فى هذا الشرك أن الآية قد تليت عليهم عند نزول القرآن ولم يثبت أنهم أنكروها مع أنهم ضالعون فى التكذيب والنكران، والأمثلة التى سجلها القرآن عليهم خير شاهد على صدق ما نقول.**

(١) سورة التوبة: ٣٠.

رابعًا: الرحلات التكريمية

رحلة موسى - عليه السلام - لميقات ربه

• سبب هذه الرحلة:

يرجع سبب هذه الرحلة التكريمية - على ما ذهب إليه جمع من المفسرين منهم الإمام البيضاوى، والنسفى، والخطيب البغدادى، والألوسى، فى عبارات متفاوتة - إلى أن موسى - عليه السلام - وعد قومه بنى إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله فرعون أتاهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه أن يؤتيه الكتاب الذى وعد به قومه، فأمره الله أن يصوم ثلاثين يومًا وهى شهر ذى القعدة، فلما أتم صيام الثلاثين يومًا أنكر خلوف فمه (أى: تغير رائحة فمه)، فاستَاكَ أو أكل بعض النباتات الطيبة الرائحة، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله - تعالى - أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة، وفى رواية ابن عباس: أن موسى لما استاك قال له ربه: «**أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك؟ ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتنى**» ففعل موسى - عليه السلام - الذى أمره به ربه.

وذلك مصداق قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... ﴾[1] قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد: الثلاثون ليلةً هي شهر ذى القعدة بكماله، وأُتِمَّتْ أربعين ليلة بعشر من ذى الحجة، ذكره الطبرى فى تفسيره.

فعلى هذا يكون كلام الله له يوم النحر، وفى مثله أكمل الله ـ عز وجل ـ لمحمد ﷺ دينه، وأقام حجته وبراهينه.

وقائع هذا اللقاء:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

فلما جاء موسى فى الوقت الذى أُمرَ بالمجئ فيه، وكلمه الله من وراء الحجب، فأسمعه خطابه، فناداه وناجاه، وقربه وأدناه، فلما سمع الخطاب سأل رفع الحجاب قائلا: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾، فبين الله له أنه (أى: موسى) لا يستطيع أن يثبت عند تجلى الله له؛ لأن الجبل الذى هو أقوى وأكبر ذاتا، وأشد ثباتا من الإنسان لا يثبت عند تجلى الرحمن، ولهذا أمره الله بأن ينظر إلى الجبل فإن استقر الجبل فسوف يكون فى مقدور موسى أن يرى ربه، فالرؤية غير ممكنة لأنها قد علقت على غير ممكن، فالله لا تدركه الأبصار، فنوره إذا تجلى لشئ لا يقوم له شئ، وقد أراه الله درسا عمليا لذلك، حيث تجلى ـ سبحانه ـ للجبل فَدُكَّ الجبل على أوله، ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا، أى: مغشيا عليه، وقال قتادة: خَر ميتا، والصواب أنه خر مغشيا عليه ليناسب قوله ﴿ ... فَلَمَّآ أَفَاقَ ... ﴾ فإن الإفاقة إنما تكون من غَشْيٍ.

فلما أفاق موسى من تلك الغشية نَزَّهَ اللهَ قائلا ﴿ .. قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ... ﴾ إشارة إلى تنزيهه وتعظيمه، وإجلاله أن يراه بعظمته أحد، ثم أعلن توبته عن مثل هذا الطلب قائلا: ﴿ ...تُبْتُ إِلَيْكَ ... ﴾، أى لست أسأل الرؤية بعد ذلك الذى حدث وشاهدته رأى العين، ﴿ ...وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بأنه لا يراك أحد حَى إلا مات، ولا يابس إلا تَدَهْدَه (تدحرج).

(١) سورة الأعراف: ١٤٣ ـ ١٤٧.

وفى هذا الموقف شرف كبير لموسى - عليه السلام - ولكنه لايَفْضُلُ به نبيَّنا من كل الوجوه، ومما يشهد لفضله بذلك قول النبى ﷺ: «... **فأكون أول من يُفيقُ فأجد موسى باطشا بقائمة العرش - أى آخذا بها - فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور؟**»(1). أى: أن الصعق الذى يحدث للخلائق فى عرصات يوم القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده، فيصعقون من شدة الهيبة والعظمة والجلال، فيكون أولهم إفاقة محمدا خاتم الأنبياء، فيجد موسى مُمْسِكًا بقائمة عرش الرحمن، فلا يدرى أصعق موسى ثم أفاق قبله حيث كانت صعقته خفيفة لأنه قد ناله بهذا السبب فى الدنيا صعق، أو أنه جوزِيَ بصعقة الطور، فلم يصعق بالمرة؟.

ثم أفاض عليه ربه من الْخُلَعِ والتشريفات ما لا يقدر عليه إلا هو، فاصطفاه على أهل هذا الزمان، لا على من قبله ولا على من بعده؛ لأن إبراهيم الخليل أفضل منه، ومحمد ﷺ قد ظهر شرفه ليلة الإسراء على جميع الأنبياء والمرسلين، ثم أمره بأن يأخذ ما آتاه الله من الرسالة والكلام والألواح ولا يسأل زيادة على ذلك، وعليه أن يشكر الله وأن يحمده، وأن يأخذ الألواح بعزم وقوة ونية صادقة، وأن يأمر قومه كى يحملوا هذه الأمانة على أحسن وجوهها، وأكمل محاملها، ففيها مواعظ من الآثام، وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام، كما حذرهم الله عاقبة الخروج عن طاعته، ومخالفة أمره، وتكذيب رسله.

---

(1) رواه البخارى (٢٥٦٠، ٣٣٩٨).



المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣ ـ تفسير ابن كثير.

٤ ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

٥ ـ صفوة التفاسير، محمد على الصابونى.

٦ ـ جواهر التفاسير، للشيخ محمد المليجى، طبعة صبيح.

٧ ـ التفسير القرآنى للتاريخ، د. راشد البراوى، دار النهضة العربية ط٢ عام ١٩٧٦م.

٨ ـ حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، عيسى الحلبى ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨م.

٩ ـ الحضارة السبئية بين الإيمان والقرآن، مجلة الوعى الإسلامى (١٥٤) أغسطس ١٩٧٧م.

١٠ ـ الحضارة الغربية وأثرها فى حياتنا، د. عبد العزيز الخياط، الوعى الإسلامى (٧٦) عام ١٩٧١م.

١١ ـ الأمم بين النماء والفناء، منبر الإسلام (١٢) عام ١٩٥٥م.
١٢ ـ من تاريخ أرض القرآن: قوم عاد، الدكتور عبد العزيز عزت خليل، مجلة الأزهر، أكتوبر ١٩٩٢م.
١٣ ـ إرم ذات العماد، لؤى عجان، مجلة الأمة، يونيو ١٩٨٢م، قطر.
١٤ ـ آثار مصر القديمة فى كتاب الرحالة العرب والأجانب، جيلان حمزة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢م.
١٥ ـ التصوير الإسلامى: نشأته وموقف الإسلام منه، وأصوله ومدارسه، د. أبو الحميد محمود فرغلى، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١م.
١٦ ـ علم الاجتماع الإسلامى، د. محمد سيد أحمد عامر، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٧م.
١٧ ـ حضارة حضرموت، مجلة العربى (٣٧١) أكتوبر ١٩٨٩م.
١٨ ـ نظام الحكم فى الإسلام، د. محمد إبراهيم الجيوشى، مطبعة الحسين الإسلامية ١٩٨٨م.
١٩ ـ قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث.
٢٠ ـ قصص الأنبياء، للإمام أبى الفداء ابن كثير، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩١م.
٢١ ـ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى، مصطفى الحلبى، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

٢٢ ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه، مطبعة صبيح ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م.

٢٣ ـ أثر الذنوب فى هدم الأمم والشعوب، الشيخ محمد محمود الصواف، دار الاعتصام ١٩٨٢م.

٢٤ ـ أزمتنا الحضارية فى ضوء سنن الله فى الخلق، الدكتور أحمد محمد كنعان، كتاب الأمة طبعة خاصة: المحرم ١٤١١ هـ / أغسطس ١٩٩٠م.

٢٥ ـ سيرة النبى ﷺ لابن هشام، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد، طبعة الحلبى.

٢٦ ـ مروج الذهب للمسعودى، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المنار.

٢٧ ـ أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ـ جزيرة العرب ـ د. جمال عبد الهادى محمد مسعود، والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

٢٨ ـ أعمال مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ـ رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر، فى الفترة من ٢٤ ـ ٢٦ من أكتوبر ١٩٩٢م بحث الدكتور سعيد أحمد ثابت.

٢٩ ـ مجلة الفيصل، عدد أغسطس ١٩٧٧م.

٣٠ ـ الإسلام وفلسفة الحضارة، د. حسين فوزى النجار ـ كتاب التعاون ١٩٩٣م.



فهرس المحتويات

صفحة

الفصل الثالث





هذا الكتاب

هذا الكتاب همسة فى أذن كل مسلم، نذكره فيه بهدى الإسلام ومنهجه عندما يريد أن يتحرك من مكان إلى مكان آخر، سواء أكان ذلك بعيداً أم قريبا، سواء أكان ذلك لأداء فريضة الحج والعمرة، أم لزيارة أخ أو قريب، أم لعيادة مريض، أم لسعى فى الصلح بين المتخاصمين.

وقد دفعنا للكتابة فى هذا الموضوع ما رأيناه من حاجة المكتبة الإسلامية للكتابة فيه، وما لمسناه من أن كثيراً من الناس لا يكاد يعرف هذا الموضوع إلا بصورة عامة، وقد رتبته بصورة يسهل تذكرها، ولا يصعب تنفيذها بالنسبة لكل مسافر.

فعن طريق تنفيذ هذه التوجيهات تكون الرحلة عبادة وطاعة لله، فضلا عن توثيق عرى المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، بالإضافة إلى ما فيها من رفع الدرجات وتكفير السيئات.

والدار المصرية اللبنانية يسرها أن تقدم لقرائها الكرام عصارة أفكار مؤلفيها، الذين نذروا أنفسهم لخدمة الكلمة الهادفة، والنهوض بفكر القارئ وثقافته.

الناشر

Maktbat Al-Dar Al-Arabia Lel-Ketab
Printing - Publishing - Distribution



شارع الطيران - بجوار المخبز الآلي - الحي السابع - مدينة نصر - تليفون ٢٦٣٩٨٥١ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - ص.ب ٢٠٢٢ - القاهرة
7 th District - Madinet Nasr - Tayaran St Cairo - Tel 2639851 - Fax 3909618 - P.O Box 2022 - Cairo